جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية



القيم الأخلاقية
خصائصها ومميزاتها
من خلال السنة النبوية

دراسة نظرية تطبيقية

دكتور

علاء عبد العزيز متولي عيسى

مدرس الحديث وعلومه
بجامعة الأزهر

مقدمة

الْحَمْدُ لله رب العالمين, خلق الإنسان في أحسن تقويم, وهداه إلى طريقه المستقيم, وفضله على كثير من العالمين.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، الَّذِي أَكْمَلَ خَلْقَهُ، وَعَظَّمَ خُلُقَهُ, وَأَدَّبَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ, فكان رحمة للبشرية, وهاديا وبشيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

صلِّ اللَّهم وبارك عليه وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، المُتَخَلِّقِينَ بِخُلُقِهِ، وَالمُتَأَدِّبِينَ بِآدَابِهِ, وَعَلَى التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ إلى يوم الدين.

وبعد

فإن الله (Y) بعث رسوله لهدية الناس من الضلال إلى الهدى, ومن إتباع النفس والشيطان, إلى إتباع الهدى والقرآن, وكان من أهم الغايات التي بعث بها (ρ) إتمام مكارم الأخلاق كما أخبر بذلك (ρ) فيما رواه الأئمة بأسانيدهم, عن أَبِي هُرَيْرَةَ (τ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ", وفي رواية "إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ"[1].

ولأهمية الأخلاق فقد عُنِيَ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بها كثير؛ وذلك لأجل تذكية الأرواح, وتهذيب النفوس, وإصلاح السلوك الإنساني, وإقامته على الأخلاق والفضيلة, قال تعالى: ﴿ **كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آَيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾[2].

وقال: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾[3].

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده 381/2 (8939), والحاكم في المستدرك, كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين, 670/2 (4221), وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي, والبيهقي في السنن الكبرى, كتاب الشهادات, باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها, 191/10 (20571), وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد 188/8.

(2) سورة البقرة آية (151).

(3) سورة آل عمران آية (164).

ولما كان للأخلاق تلك الأهمية وهذه المنزلة, فقد بين النبي (ρ) أن كمال الإيمان بكمال الأخلاق فقال (ρ):"أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا"[1].

وبين النبي (ρ) أن الإيمان القوي يلد الخلق القوي حتمًا، وأن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان، فقال (ρ): "وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ" قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ"[2].

ولما كان بعض المنتسبين للإسلام يتهاونون في أمر الأخلاق, فقد يؤدون العبادات المطلوبة، ولكنهم يعملون أعمالاً يأباها الخلق القويم، كما ورد في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده, والحاكم في المستدرك, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (τ)، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: "هِيَ فِي النَّارِ"، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ[3] مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: "هِيَ فِي الْجَنَّةِ"[4].

ولقد سأل النبي (ρ) أصحابه فقال: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟" قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"[5].

---

(1) أخرجه الترمذي في جامعه, كِتَاب الرَّضَاعِ، بَاب ما جاء في حَقِّ الْمَرْأَةِ على زَوْجِهَا، 466/3 (1162) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْأَدَبِ, بَاب إِثْمِ من لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بوائقه, 2240/5 (5670).

والبائقة الداهية, قال قتادة: أي ظلمه وغشمه, وقال الكسائي: غوائله وشره. مختار الصحاح 28/1 مادة (ب و ق).

(3) الأثوار: جمع ثور وهي قطعة من الأقط وهو لبن جامد. لسان العرب لابن منظور 111/4 مادة (ثور).

(4) أخرجه أحمد في مسنده 440/2 (9673), والحاكم في المستدرك بنحوه, كتاب البر والصلة, 183/4 (7304), وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ, قلت: وافقه الذهبي.

(5) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه, كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، 1997/4 (**2581**).

لما كان الأمر كذلك شرعت في كتابة هذا البحث؛ للمساهمة في مواجه التدهور الأخلاقي الموجود في المجتمع, وأسميته" **القيم الأخلاقية خصائصها ومميزاتها من خلال السنة النبوية دراسة نظرية تطبيقية**".

ولما كان كمال الأخلاق متمثلا في خلق النبي (ρ), قال تعالى مخاطبا نبيه (ρ): ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[1]. وقالت السيدة عائشة (رضي الله عنها) حينما سُئلت عَنْ خلقه (ρ): "**كان خلق رسول الله (ρ) القرآن**"[2]؛ فقد عمدت للكتابة في هذا البحث عن بعض من تلك القيم العظيمة التي تبين عظم خُلقه (ρ) وكماله, ليقتدي به المسلمون, عملا بقوله تعالى:﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[3].

وكان منهجي فيه على النحو الآتي:

أولا: جمعت بعض الأحاديث النبوية المطهرة الواردة في بعض القيم الأخلاقية التي حددتها.

ثانيا: رتبت هذه النصوص ترتيبا موضعيا, ثم قمت بدراستها وتحليلها مستعينا في ذلك بشروح العلماء وأقوالهم.

ثالثا: قمت بتخريج الأحاديث المذكورة من كتب السنة المطهرة, فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما, فإني أكتفي بالتخريج منهما أو من أحدهما.

رابعا: إذا لم يكن الحديث في الصحيحين أو في أحدهما, ذكرت درجة الحديث بذكر حكم أهل الفن عليه إن وجد.

خامسا: إذا لم أقف على حكم عليه من أحد الأئمة, قمت بالحكم عليه بعد دراسة إسناده, ولم أذكر تلك الدراسة في البحث, وإنما أثبت ثمرتها على سبيل الإجمال, فأبين درجته من الصحة أو الحسن أو الضعف, مكتفيا بذكر علة الضعف عند ضعفه, فأقول مثلا هذا حديث إسناده صحيح, أو حسن, أو إسناده ضعيف فيه فلان ضعيف الحديث مثلا... إلى غير ذلك.

سادسا: قمت بالتعليق على تلك الأحاديث، وتوضيح معاني الغريب، وغير ذلك مما اقتضته ضرورة البحث.

---

(1) سورة القلم آية (4).
(2) رواه مسلم في صحيحه، كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَاب جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ وَمَنْ نَامَ عنه أو مَرِضَ, 512/1 (746), جزء من حديث طويل وقد سُئلت عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ (ρ) فقَالَتْ للسائل: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قال: بَلَى، قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ (ρ) كَانَ الْقُرْآنَ.
(3) سورة الأحزاب آية (21).

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وفصلين, وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث ومنهجه.

وأما الفصل الأول: فضم النقاط الآتية:

أ- مفهوم القيم الأخلاقية.

ب- هل الأخلاق فطرية أم مكتسبة؟

ج- منزلة الأخلاق في الإسلام.

د- خصائص القيم الأخلاقية.

هـ- حدود الْأَخْلَاق والأعمال.

وأما الفصل الثاني: فقد اشتمل على "نماذج من القيم الأخلاقية من خلال السنة النبوية", وهي على النحو الآتي:

الصبر قيمته ومنزلته.

المحبة قيمتها ومنزلتها.

الخشية قيمتها ومنزلتها.

الحياء قيمته ومنزلته.

وأما الخاتمة: فقد اشتملت على أهم نتائج هذا البحث.

وبعد:

فهذا هو جهد المقل، إن يكن خيرًا فلله الحمد والفضل، فما تحرك قلمي إلا بإذنه، ولا تحرك فكري إلا برزقه، وما جمعت ورتبت إلا بعونه.

فإن كان صواباً فمن الله تعالى وحده، وإن كان خطأ فمني، وحسبي أني لم أدخر وسعاً في سبيل ذلك، ولكن طبيعة البشر النقص والتقصير، والكمال لله وحده.

قال أستاذ البلغاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البَيْسَاني[1] للعماد الأصفهاني - معتذرًا عن كلام استدركه عليه: "إنه قد وقع لي شيءٌ، وما أدري أوقعَ لك أم لا، وها أنا أخبرُك به: وذلك أنّي رأيتُ أنَّه لا يكتب إنسانٌ كتابَه في يومِه إلا قال في غَدِهِ: لو غُيِّرَ هذا لكانَ أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظمِ العِبَرِ، وهو دليل على استيلاء النَّقصِ على جُمْلَةِ البشرِ"[2].

والله تعالى نسأل المثوبة والقبول

دكتور

علاء عبد العزيز متولي عيسى

مدرس الحديث وعلومه

بجامعة الأزهر

---

(1) البَيْسَاني: - بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحت وفتح السين المهملة وفي آخرها النون - هذه النسبة إلى بيسان من بلاد الغور من أرض الشام. اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن الشيباني 197/1.

وغور الأردنّ بالشام بين بيت المقدس ودمشق. وهو واد مسيرة ثلاثة أيام، وعرضه أقل من نصف يوم، فيه نهر الأردن، يشقه فى طوله من أوله، وأشهر بلاده بيسان، وهى على جانبه. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع 1004/2. لصفيّ الدين القطيعي البغدادي، الحنبلي، (المتوفى: 739هـ), ط دار الجيل، بيروت, الطبعة: الأولى، 1412 هـ.

(2) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون, لمصطفى بن عبدالله الرومي، 17/1.

الفصل الأول

أ- مفهوم القيم الأخلاقية

القِيَم: جمعٌ لكلمة قِيمَة، وهي الشيء ذو المقدار، أو الثمن[1].

والقِيمَةُ - بالكَسْرِ- واحِدَةُ القِيَمِ، وهو ثَمَنُ الشَّيْءِ بالتَّقْوِيمِ -وأَصلُه الوَاوُ- لأَنَّه يَقُومُ مَقَامَ الشَّيءِ, ويُقالُ مَالَهُ قِيمَةٌ[2].

أما كلمة الأخلاقيَّة: اسم منسوب إلى كلمة أخلاق.

والأخلاق: جمع خُلُق, والخُلُقُ - بضم اللام وسكونها- هو الدِّين والطبع والسجيّة, وحقيقته، أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها, بمنزلة الخَلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب[3].

والخَلِيقَة الطبيعة التي يُخلق بها الإنسان.

قال لَبِيد[4]:

فاقْنَعْ بما قَسَمَ المليكُ فإنّمَا قسمَ الخلائقَ بينَنا علاَّمُها[5]

"وتَخَلَقَ: تكلف أن يظهر من خُلُقه خلاف ما ينطوي عليه".

---

(1) ينظر: لسان العرب لابن منظور 500/12، مادة (قوم), مختار الصحاح للرازي 232/1, مادة (ق و م).

(2) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي, 312/33 مادة (ق و م), .

(3) ينظر لسان العرب 10/ 86.

(4) لَبِيد بن ربيعة العامرى, الشاعر, أبو عقيل قدم على النبى (ε) فأسلم وحسن إسلامه, وهو لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة, روى عبد الملك بن عمير عن أبى هريرة أن رسول الله (ε) قال أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ألا كل شىء ما خلا الله باطل وهو شعر حسن وفى هذه القصيدة ما يدل على أنه قالها فى الإسلام والله أعلم وذلك قوله:

وكل امرىء يوما سيعلم سعيه إذا كشفت عند الإله المحاصل

= وقال مالك بن أنس: بلغني أن لبيد بن ربيعة مات وهو ابن مائة وأربعين سنة, وقيل: إنه مات وهو ابن سبع وخمسين ومائة سنة في أول خلافة معاوية، وقيل غير ذلك. ينظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر, 1335/3.

(5) ينظر: لسان العرب 10/ 86، وديوان لبيد بن ربيعة العامري 106/1.

قال الشاعر:

يَأيُّها المُتَحَلِّى غيرَ شِيمَتِه   إنَّ التَّخلّقَ يأتى دونه الخُلُقْ

والخُلُقُ: حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية(1).

واصطلاحا:

عرفها الإمام الغَزاليّ (~) فقال: "الخُلُقُ عبارة عن هيئة في النفس راسخة, عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية, فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا, سميت تلك الهيئة خلقا حسنا, وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة, سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا"(2).

شرح التعريف:

ثم قال (~): "... وإنما قلنا إنها هيئة راسخة؛ لأن من يصدر منه بذل المال على النذور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ, وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية؛ لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم, فهاهنا أربعة أمور: أحدها: فعل الجميل والقبيح, والثاني: القدرة عليهما, والثالث: المعرفة بهما, والرابع: هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح, وليس الخلق عبارة عن الفعل؛ فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل, إما لفقد المال أو لمانع, وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء, وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء بل إلى الضدين واحد, وكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الإعطاء والإمساك, وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء"(3).

وعرفه الْجُرْجَانِيُّ فقال: "الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة, تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية"(4).

وقيل: "مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس، وفي ضوئها وميزانها يَحسُن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه"(1).

---

(1) المعجم الوسيط ص252.
(2) إحياء علوم الدين للغزالي 53/3.
(3) إحياء علوم الدين 53/3.
(4) التعريفات للجرجاني, 136/1.

مما سبق نستطيع أن نعرف القيم الأخلاقية بأنها:

مجموعة من المعايير, أو الأسس, أو المبادئ, أو الصفات, أو الآداب, أو القواعد التي تميز الأخلاق الفاضلة, وبها يعرف الخلق المحمود من الخلق المذموم.

فالأخلاق الفاضلة تثمر سعادة عامة شاملة لكل أبناء المجتمعات في الدنيا والآخرة, فالإنسان الفرد لا يعيش وحده في هذه الحياة، فهو بطبيعته اجتماعي يعيش ضمن مجتمع مع آخرين، والإسلام يهدف إلى بناء المجتمع بأكمله, والقيم الأخلاقية بالإضافة إلى كونها كمالاً على المستوى الشخصي لا بد منها أيضاً لكمال المجتمع وتحسين العلاقة بين الأفراد, وإذا ما التزم الجميع بالقيم كانت السعادة الفردية والاجتماعية في الدنيا والآخرة.

ب- هل الأخلاق فطرية أم مكتسبة؟

الأخلاق منها ما هو فطري, ومنه ما هو مكتسب بالتخلق والاقتداء بالغير.

قال الإمام الفخر الرازيّ (~):" ثَبَتَ عِنْدَنَا أَنَّ النُّفُوسَ النَّاطِقَةَ الْبَشَرِيَّةَ مُخْتَلِفَةٌ بِالْجَوْهَرِ وَالْمَاهِيَّةِ، فَبَعْضُهَا إِلَهِيَّةٌ مُشْرِقَةٌ حُرَّةٌ كَرِيمَةٌ، وَبَعْضُهَا سُفْلِيَّةٌ ظُلْمَانِيَّةٌ نَذْلَةٌ خَسِيسَةٌ، وَبَعْضُهَا رَحِيمَةٌ عَظِيمَةُ الرَّحْمَةِ، وَبَعْضُهَا قَاسِيَةٌ قَاهِرَةٌ، وَبَعْضُهَا قَلِيلَةُ الْحُبِّ لِهَذِهِ الْجُسْمَانِيَّاتِ قَلِيلَةُ الْمَيْلِ إِلَيْهَا، وَبَعْضُهَا مُحِبَّةٌ لِلرِّيَاسَةِ وَالِاسْتِعْلَاءِ، وَمَنِ اعْتَبَرَ أَحْوَالَ الْخَلْقِ عَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا ذَكَرْنَاهُ ثُمَّ إِنَّا نَرَى هَذِهِ الْأَحْوَالَ لَازِمَةً لِجَوَاهِرِ النُّفُوسِ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ رَاعَى أَحْوَالَ نَفْسِهِ عَلِمَ أَنَّ لَهُ مَنْهَجًا مُعَيَّنًا وَطَرِيقًا مُبَيَّنًا فِي الْإِرَادَةِ وَالْكَرَاهَةِ وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَأَنَّ الرِّيَاضَةَ وَالْمُجَاهَدَةَ لَا تَقْلِبُ النُّفُوسَ عَنْ أَحْوَالِهَا الْأَصْلِيَّةِ وَمَنَاهِجِهَا الطَّبِيعِيَّةِ، وَإِنَّمَا تَأْثِيرُ الرِّيَاضَةِ فِي أَنْ تَضْعُفَ تِلْكَ الْأَخْلَاقُ وَلَا تَسْتَوْلِيَ عَلَى الْإِنْسَانِ، فَأَمَّا أَنْ يَنْقَلِبَ مِنْ صِفَةٍ أُخْرَى فَذَلِكَ مُحَالٌ "[2].

---

(1) أصول الدعوة: د/عبد الكريم زيدان ص57، ط: دار عمر بن الخطاب بالإسكندرية. الثالثة 1396هـ- 1976م.

(2) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي 131/1.

وقد دل على فطرية الأخلاق

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ (τ)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ρ) قَالَ: "تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَقِهُوا وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَيَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ"[1].

قال الحافظ ابن حجر (~): قوله: (تَجِدُونَ النّاس مَعادِن)؛ أَي أُصُولاً مُختَلِفَة، والمَعادِن جَمع مَعدِن وهُو الشَّيء المُستَقِرّ فِي الأَرض، فَتارَة يَكُون نَفِيسًا وتارَة يَكُون خَسِيسًا، وكَذَلِكَ النّاس.قوله: (خِيارهم فِي الجاهِلِيَّة خِيارهم فِي الإِسلام) وجه التَّشبِيه أَنَّ المَعدِن لَمّا كانَ إِذا أُستُخرِجَ ظَهَرَ ما اختَفَى مِنهُ ولا تَتَغَيَّر صِفَته, فَكَذَلِكَ صِفَة الشَّرَف لا تَتَغَيَّر فِي ذاتها بَل مَن كانَ شَرِيفًا فِي الجاهِلِيَّة فَهُو بِالنِّسبَةِ إِلَى أَهل الجاهِلِيَّة رَأس, فَإِن أَسلَمَ استَمَرَّ شَرَفه وكانَ أَشرَفَ مِمَّن أَسلَمَ مِنَ المَشرُوفِينَ فِي الجاهِلِيَّة، وأَمّا قَوله: (إِذا فَقِهُوا) فَفِيهِ إِشارَة إِلَى أَنَّ الشَّرَف الإِسلامِيّ لا يَتِمّ إِلاَّ بِالتَّفَقُّهِ فِي الدِّين.والمُراد بِالخِيارِ والشَّرَف وغَير ذَلِكَ مَن كانَ مُتَّصِفًا بِمَحاسِن الأَخلاق، كالكَرَم والعِفَّة والحِلم وغَيرها، مُتَوَقِّيًا لِمَساوِيها كالبُخلِ والفُجُور والظُّلم وغَيرها[2].

وقال الإمام المُناوي (~): "الحديث ورد على منهج التشبيه في التفاضل في الصفات الوهبية والكسبية, كالأخلاق الجبلية والآداب الحاصلة بواسطة الأدلة, وشتان في القياس بين الذهب والفضة والرصاص والنحاس, فبقدر ما بين ذلك من التفاوت تكون الصفة في الأشخاص, فكأنه قال الناس يتفاوتون في الصفات الذاتية والعرضية كما تتفاوت المعادن في ذواتها وأعراضها القائمة بها من العلل والأدناس"[3].

فالناس معادن مختلفة كمعادن الذهب والفضة, فكما أن المعادن منها الخسيس ومنها النفيس فكذلك الناس, ومع ذلك فإن الله تعالى لم يثن على أحد بمجرد نسبه, بل إنما يثن عليه بإيمانه وتقواه كما في قاله تعالى ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾[4]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْمَنَاقِبِ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى) يا أَيُّهَا الناس إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ من ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، (1288/3 (3304). ومسلم في صحيحه، كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (ψ)، بَاب خِيَارِ الناس، 1958/4 (2526).

(2) ينظر فتح الباري لابن حجر 529/6 بتصرف يسير, وشرح النووي على صحيح مسلم 78/16, وعمدة القاري للعيني, 69/16.

(3) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي, 295/6.

(**4**) سورة الحجرات من الآية رقم (13).

وإن كان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة, فالمعدن هو مظنة حصول المطلوب, فإن لم يحصل وإلا كان المعدن الناقص الذي يحصل منه المطلوب خيرا منه.

وما أخرجه أبو داود من حديث أُمِّ أَبَان بِنْت الْوَازِعِ بْنِ زَارِعٍ[1]، عَنْ جِدِّهَا زَارِعٍ[2]، وَكَانَ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ، قَالَ: " لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَجَعَلْنَا نَتَبَادَرُ مِنْ رَوَاحِلِنَا، فَنُقَبِّلُ يَدَ النَّبِيِّ (ρ) وَرِجْلَهُ، قَالَ: وَانْتَظَرَ الْمُنْذِرُ الْأَشَجُّ[3] حَتَّى أَتَى عَيْبَتَهُ، فَلَبِسَ ثَوْبَيْهِ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ (ρ) فَقَالَ لَهُ: إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ[4].

فهذا الحديث يثبت أن الأشج جبله الله تعالى على هاتين الخَصلتين, وأن الأخلاق منها ما هو فطري, ومنها ما هو مكتسب.

وما أخرجه أبو داود والترمذي وابن حبان من حديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ[5] قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمُ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ"[6].

---

(1) أم أبان بنت الوازع بن الزارع مقبولة من الرابعة. تقريب التهذيب لابن حجر, 755/1.

(2) زَارِع بن عَامِر العَبْدي من عَبْد القيس كنيته أبو الوازع وقيل هو زارع ابن زارع والأول أصح وله ابن يسمى الوازع به كان يكنى. اسد الغابة لابن الأثير 289/2, تهذيب التهذيب لابن حجر 262/3، تقريب التهذيب 213/1.

(3) المنذر بن عائذ بن المنذر بن الحارث بن النعمان بن زياد بن عصر المصري العبدي من عبد القيس يعرف بالأشج وذكروا أنه سيدهم وقائدهم إلى الإسلام. الاستيعاب لابن عبد البر 1448/4, اسد الغابة 281/5.

(4) أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْأَدَبِ, بَاب فِي قُبْلَةِ الْجَسَدِ, 357/4 (5225) وإسناده فيه:هند بنت الوازع بن زارع, روى لها أبو داود وسكت عنها وبقية رجاله ثقات فهو حسن عنده.

(5) القُبضة - بالضم- ما قبضت عليه من شيء يقال أعطاه قبضة من سويق أو تمر أي كفا منه وربما جاء بالفتح. مختار الصحاح 217/1 مادة (ق ب ض).

(6) أخرجه أبو داود في سننه, كِتَاب السُّنَّةِ, بَاب فِي الْقَدَرِ, 222/4 (4693). والترمذي في جامعه، كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ, بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ 204/5 (2955)، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ

قَالَ صَاحِبُ عَوْنِ الْمَعْبُودِ: "قوله: (خُلِقَ آدَم مِنْ قُبْضَة): الْقُبْضَة -بِالضَّمِّ- مِلْء الْكَفّ وَرُبَّمَا جَاءَ بِفَتْحِ الْقَاف، كَذَا فِي الصِّحَاح.وَقَالَ فِي النِّهَايَة[1]: الْقَبْض الْأَخْذ بِجَمِيعِ الْكَفّ وَالْقَبْضَة الْمَرَّة مِنْهُ وَبِالضَّمِّ الِاسْم مِنْهُ قوله: (قَبَضَهَا مِنْ جَمِيع الْأَرْض): أَيْ مِنْ جَمِيع أَجْزَائِهَا قوله: (فَجَاءَ بَنُو آدَم عَلَى قَدْر الْأَرْض): أَيْ مَبْلَغهَا مِنْ الْأَلْوَان وَالطِّبَاع قوله: (جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَر وَالْأَبْيَض وَالْأَسْوَد): بِحَسَبِ تُرَابهمْ وَهَذِهِ الثَّلَاثَة هِيَ أُصُول الْأَلْوَان وَمَا عَدَاهَا مُرَكَّب مِنْهَا وَهُوَ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ قوله: (وَبَيْن ذَلِكَ): أَيْ بَيْن الْأَحْمَر وَالْأَبْيَض وَالْأَسْوَد بِاعْتِبَارِ أَجْزَاء أَرْضه قَالَهُ الْقَارِي[2] قوله: (وَالسَّهْل): أَيْ وَمِنْهُمْ السَّهْل أَيْ اللَّيِّن الْمُنْقَاد قوله: (وَالْحَزْن): -بِفَتْحِ الْحَاء وَسُكُون الزَّاي- أَيْ الْغَلِيظ الطَّبْع قوله: (وَالْخَبِيث): أَيْ خَبِيث الْخِصَال قوله: (وَالطَّيِّب): قَالَ الطِّيبِيُّ[3]: أَرَادَ بِالْخَبِيثِ مِنْ الْأَرْض الْخَبِيثَة السَّبْخَة، وَمِنْ بَنِي آدَم الْكَافِر، وَبِالطَّيِّبِ مِنْ الْأَرْض الْعَذْبَة، وَمِنْ بَنِي آدَم الْمُؤْمِن"[4].

فالحديث يدل على أن الأخلاق منها ما هو فطري مخلوق للإنسان, فمنهم السهل اللين ومنهم غليظ الطبع, ومنهم حسن الخصال ومنهم خبيثها.

قبول الأخلاق للتغيير

إذا كان الأمر كذالك من أن الأخلاق منها ما هو فطري, فهل تقبل تلك الأخلاق الفطرية للتغيير أم لا؟

إنَّ الأخلاق منها ما هو فطري وما هو مكتسب وكلاهما يقبل التغيير, إذ إنهما لو لم يقبلا التغيير, لما كان هناك فائدة من التكليف, ولا للثواب والعقاب, ولا للوعد والوعيد, ولا للأمر والنهي, ولا للوعظ والإرشاد. ولما كان هنا أمر بالتقوى أو غيرها من التحلي بمكارم الأخلاق التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

منها قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ** ﴾[5].

حَسَنٌ صَحِيحٌ, وابن حبان في صحيحة, كتاب التاريخ, ذكر البيان بأن قوله (ρ) خلق الله آدم من أديم الأرض كلها أراد به من قبضة واحدة منها 29/14 (6160).

(1) النهاية في غريب الأثر 6/4.

(2) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/176.

(3) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)564/2.

(4) عون المعبود شرح سنن أبي داود العظيم آبادي, 297/12.

(5) سورة البقرة من الآية (281).

قال الواحدي: (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) يعني يوم القيامة تردون فيه إلى الله (ثم توفى كل نفس ما كسبت) أي جزاء ما كسبت من الأعمال (وهم لا يظلمون) لا ينقصون شيئا [(1)].

وقوله (ρ) كما في حديث أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (ρ): اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " [(2)].

قال المباركفوري: قَوْلُهُ: (اِتَّقِ اللَّهَ) أَيْ بِالْإِتْيَانِ بِجَمِيعِ الْوَاجِبَاتِ وَالِانْتِهَاءِ عَنْ سَائِرِ الْمُنْكَرَاتِ، فَإِنَّ التَّقْوَى أَسَاسُ الدِّينِ وَبِهِ يَرْتَقِي إِلَى مَرَاتِبِ الْيَقِينِ قوله: (حَيْثُ مَا كُنْت) أَيْ فِي الْخَلَاءِ وَفِي النَّعْمَاءِ وَالْبَلَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِسِرِّ أَمْرِك كَمَا أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى ظَوَاهِرِك، فَعَلَيْك بِرِعَايَةِ دَقَائِقِ الْأَدَبِ فِي حِفْظِ أَوَامِرِهِ وَمَرَاضِيهِ، وَالِاحْتِرَازِ عَنْ مَسَاخِطِهِ وَمَسَاوِيهِ, قوله: (وَخَالِقْ النَّاسَ) أَمْرٌ مِنْ الْمُخَالَقَةِ مَأْخُوذٌ مِنْ الْخُلُقِ مَعَ الْخَلْقِ أَيْ خَالِطْهُمْ وَعَامِلْهُمْ قوله: (بِخُلُقٍ حَسَنٍ) أَيْ تَكَلَّفْ مُعَاشَرَتَهُمْ بِالْمُجَامَلَةِ فِي الْمُعَامَلَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ نَحْوِ طَلَاقَةِ وَجْهٍ، وَخَفْضِ جَانِبٍ، وَتَلَطُّفٍ وَإِينَاسٍ، وَبَذْلِ نَدًى، وَتَحَمُّلِ أَذًى، فَإِنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ يُرْجَى لَهُ فِي الدُّنْيَا الْفَلَاحُ، وَفِي الْآخِرَةِ الْفَوْزُ بِالنَّجَاةِ وَالنَّجَاحِ[(3)].

وقد دل على قبول الأخلاق للتغيير أيضا

قوله تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)**﴾[(4)]

ومعنى: سواها خلقها وأنشأها وسوى أعضاءها، والمراد بها: جميع ما خلق من الجن والإنس والتنكير للتفخيم, وقيل: المراد نفس ادم, (**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**) أي عرفها وأفهمهما حالهما, وما فيهما من الحسن والقبح، وقيل: عرفها طريق الفجور والتقوى والطاعة والمعصية، وقيل: فألهمها عرفها طريق الخير وطريق الشر كما قال وهديناه النجدين[(5)].

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي, 193/1. وينظر: فتح القدير للشوكاني, 298/1.

(2) أخرجه الترمذي في جامعه, كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ، بَاب ما جاء في مُعَاشَرَةِ الناس, 355/4 (1987) وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(3) ينظر: تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، للمباركفوري 140/6.

(4) سورة الشمس.

(5) ينظر: فتح القدير 449/5, والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 75/20 بتصرف.

وقوله تعالى:﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾[1].

قال الإمام القرطبي (~): وهديناه النجدين يعني الطريقين, طريق الخير وطريق الشر, أي بيناهما له بما أرسلناه من الرسل[2].

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾[3]

قال الحافظ ابن كثير (~): "**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ** " أي بيناه ووضحناه وبصرناه به كقوله جل وعلا: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى** ﴾[4] وكقوله جل وعلا: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾[5], أي بينا له طريق الخير وطريق الشر"[6].

فالآيات الكريمة تبين أن الله تعالى خلق الإنسان وعرفه طريق الخير وطريق الشر، وأمره بتزكية نفسه, والالتزام بكل خلق حسن, والبعد عن كل خلق قبيح، لذلك جعل الله الفلاح لمن زكى نفسه وجاهدها وطهرها, وجعل الخيبة والخسران لمن أغواها وأضلها.

قال تعالى ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9)** ﴾[7].

قال العلامة الشوكاني (~): "**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**" أي قد فاز من زكى نفسه وأنماها وأعلاها بالتقوى بكل مطلوب وظفر بكل محبوب. وقد خاب من دساها, أي خسر من أضلها وأغواها, قال أهل اللغة: دساها أصله دسسها من التدسيس وهو إخفاء الشيء في الشيء, فمعنى دساها في الآية أخفاها وأخملها ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح, وكانت أجواد العرب تنزل الأمكنة المرتفعة ليشتهر مكانها فيقصدها الضيوف, وكانت لئام العرب تنزل الهضاب والأمكنة المنخفضة ليخفى مكانها عن الوافدين, وقيل معنى دساها أغواها.

ومنه قول الشاعر

وأنتَ الذي دَسَّيْتَ عَمراً فأصبحتْ   حلائِلَهُ منه أرامِلَ ضُيَّعا[8]

---

(1) سورة البلد آية (10).
(2) تفسير القرطبي 65/20.
(3) سورة الإنسان آية (3).
(4) سورة فصلت آية (17).
(5) سورة البلد آية (10).
(6) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 454/4.
(7) سورة الشمس.
(8) ينظر: فتح القدير 449/5.

وقد أكد القرآن الكريم في أكثر من آية على هذا المعنى, وهو إمكانية تغيير الأخلاق منها قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[1]. وقوله: ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾[2].

قال الشوكاني: قوله لقد من الله على المؤمنين, جواب قسم محذوف, وخص المؤمنين لكونهم المنتفعين ببعثته, ومعنى من أنفسهم أنه عربي مثلهم, وقيل: بشر مثلهم ووجه المنة على الأول أنهم يفقهون عنه ويفهمون كلامه, ولا يحتاجون إلى ترجمان, ومعناها على الثاني: أنهم يأنسون به بجامع البشرية, ولو كان ملكا لم يحصل كمال الأنس به لاختلاف الجنسية، قوله يتلو عليهم آياته, هذه منة ثانية أي يتلو عليهم القرآن بعد أن كانوا أهل جاهلية لا يعرفون شيئا من الشرائع, ويزكيهم, أي يطهرهم من نجاسة الكفر, ويعلمهم الكتاب, والمراد بالكتاب هنا القرآن, والحكمة السنة وإن كانوا من قبل, أي من قبل محمد أو من قبل بعثته, لفي ضلال مبين, أي واضح لا ريب فيه[3].

فالآية الكريمة توضح لنا أن الله بعث نبيه ليطهر عباده من رذائل الأخلاق ودنس النفوس.

قال الإمام الغزالي (~): "لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات...ثم قال: وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن, إذ ينقل البازي[4] من الاستيحاش إلى الأنس, والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية, والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد, وكل ذلك تغيير للأخلاق[5].

كيفية تغيير الخلق

مما سبق يتضح لنا أن تزكية النفس ضرورة لابد منها للفوز بسعادة الدارين، ويكون ذلك من خلال مجاهدتها وتروّضها على مكارم الأخلاق، وحميد الخصال.

(1) سورة آل عمران آية (164).
(2) سورة الجمعة آية (2).
(3) ينظر: فتح القدير 394/1.
(4) البازي: واحد البزاة التي تصيد, ضرب من الصقور. لسان العرب 72/14.
(5) ينظر: إحياء علوم الدين 55،56/3.

قال الحافظ ابن حجر (~): والمراد بالمجاهدة كف النفس عن إرادتها من الشغل بغير العبادة، وقال ابن بطال[1]: جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل قال الله تعالى ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى.. الآية** ﴾[2], ويقع بمنع النفس عن المعاصي, وبمنعها من الشبهات, وبمنعها من الإكثار من الشهوات المباحة, لتتوفر لها في الآخرة, قال ابن حجر: قلت ولئلا يعتاد الإكثار فيألفه فيجره إلى الشبهات, فلا يأمن أن يقع في الحرام. قال القشيري: أصل مجاهدة النفس فطمها عن المألوفات, وحملها على غير هواها, وللنفس صفتان انهماك في الشهوات, وامتناع عن الطاعات, فالمجاهدة تقع بحسب ذلك, قال بعض الأئمة: جهاد النفس داخل في جهاد العدو, فان الأعداء ثلاثة رأسهم الشيطان, ثم النفس لأنها تدعو إلى اللذات المفضية بصاحبها إلى الوقوع في الحرام الذي يسخط الرب, والشيطان هو المعين لها على ذلك, ويزينه لها, فمن خالف هوى نفسه قمع شيطانه, فمجاهدته نفسه حملها على إتباع أوامر الله واجتناب نواهيه, وإذا قوى العبد على ذلك, سهل عليه جهاد أعداء الدين, فالأول الجهاد الباطن, والثاني الجهاد الظاهر, وجهاد النفس أربع مراتب: حملها على تعلم أمور الدين, ثم حملها على العمل بذلك, ثم حملها على تعليم من لا يعلم, ثم الدعاء إلى توحيد الله, وقتال من خالف دينه, وجحد نعمه, وأقوى المعين على جهاد النفس, جهاد الشيطان, بدفع ما يلقى إليه من الشبهة والشك, وتمام ذلك من المجاهدة أن يكون متيقظا لنفسه في جميع أحواله, فإنه متى غفل عن ذلك إستهواه شيطانه ونفسه إلى الوقوع في المنهيات[3].

فمجاهدة النفس وحملها على الطاعة أمر واجب؛ لأنه من وجوب طاعة الله تعالى ورسوله, وإتباع الأوامر واجتناب النواهي.

ج- منزلة الأخلاق في الإسلام

أعطى الإسلام الأخلاق منزلة رفيعة عالية وأولاها اهتمامه، ولقد اتضحت هذه الأهمية وتلك المنزلة من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة, فالقرآن الكريم هو أصل الأخلاق الإسلامية, ولقد حث على مكارم الأخلاق في كثير من آياته منها:

قوله تعالى مخاطبا نبيه(ρ): ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[4].

فهذا ثناء على خلق رسول الله (ρ) قالت عائشة (رضي الله عنها): "كان خلق رسول الله (ρ) القرآن"[1] تعني التأدب بآدابه, وامتثال أوامره, وعبر ابن عباس عن

(1) شرح صحيح البخاري لابن بطال 210/10, 211.

(2) سورة النازعات آية (40).

(3) ينظر: فتح الباري 337/11, 338.

(4) سورة القلم آية (4).

الخلق بالدين والشرع, وذلك رأس الخلق, وتفصيل ذلك أن رسول الله (ρ) جمع كل فضيلة, وحاز كل خصلة جميلة, فمن ذلك شرف النسب, ووفور العقل, وصحة الفهم, وكثرة العلم, وشدة الحياء, وكثرة العبادة والسخاء والصدق والشجاعة والصبر والشكر والمروءة والتودد والاقتصاد والزهد والتواضع والشفقة والعدل والعفو وكظم الغيظ وصلة الرحم وحسن المعاشرة وحسن التدبير وفصاحة اللسان وقوة الحواس وحسن الصورة وغير ذلك, حسبما ورد في أخباره وسيره (ρ), ولذلك قال (ﷺ): "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[2], وقيل: سمى خلقه عظيما لأنه لم تكن له همة سوى الله (Y)[3].

فامتدح الله نبيه بعظيم خلقه وحميد خصاله, وفي هذا حث للمسلمين على التحلي بمكارم الأخلاق والتخلق بها اقتداء برسول الله (ρ), قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[4].

وقال تعالى: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[5].

فانظر ما في هذه الآيات من الحث على مكارم الأخلاق, والأمر بأن تعامل من عصى الله فيك بأن تطيع الله فيه, والنهي من أن يحملك البغض على الظلم.

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[6].

والمقصود بالعدل فعل الواجبات, وبالإحسان فعل المندوبات, وذلك في حقوق الله تعالى وفي حقوق المخلوقين, قال ابن مسعود: هذه أجمع آية في كتاب الله تعالى, ومعنى (وإيتاء ذي القربى) الإيتاء مصدر آتى بمعنى أعطى, وقد دخل ذلك في العدل والإحسان ولكنه جرده بالذكر اهتماما به, (وينهى عن الفحشاء) قيل:

---

(1) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَاب جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ وَمَنْ نَامَ عنه أو مَرِضَ, 512/1 (746), جزءًا من حديث طويل وقد سُئلت عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ (ρ) فقَالَتْ للسائل: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قال: بَلَى، قَالَتْ: "فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ (ρ) كَانَ الْقُرْآنَ".

(2) سبق تخريجه في المقدمة صـ2.

(3) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل 137/4.

(4) سورة الأحزاب آية (21).

(5) سورة المائدة آية (2).

(6) سورة النحل آية (90).

يعني الزنا, واللفظ أعم من ذلك, (والمنكر) هو أعم من الفحشاء؛ لأنه يعم جميع المعاصي, (والبغي) يعني الظلم[1].

وقال الفخر الرازي (~): "جُمع في هذه الآية ما يتصل بالتكليف فرضاً ونفلاً, وما يتصل بالأخلاق والآداب عموماً وخصوصاً"[2].

وقيل: أمر الله بثلاثة أشياء, ونهى عن ثلاثة أشياء, وجمع في هذه الأشياء الستة علم الأولين والآخرين, وجميع الخصال المحمودة[3].

فجمعت هذه الآيات الكريمة جميع أصناف مكارم الأخلاق التي أمر الله بها عباده, سوء كانت تلك الأخلاق متعلقة بحقوق الله تعالى, أو بحقوق المخلوقين, فلم تترك خلقا حسنا إلا وأمرت به, ولم تترك خلقا سيئا إلا ونهت عنه؛ لأن العدل يعني الوسطية في كل أمر, وهو ما جاء به الدين الإسلامي الحنيف, قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾[4]، وأمرت بالإحسان وهو الفضل, ونهت عن المنكر وهو جماع مساوئ الأخلاق.

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ**﴾[7].

فقد أكدت تلك الآيات الفلاح والفوز للمؤمنين الذين تخلقوا بمكارم الأخلاق.

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ**﴾[8].

---

(1) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل 160/2.
(2) التفسير الكبير 81/20.
(3) ينظر: تفسير السمرقندي 287/2.
(4) سورة البقرة من الآية (143).
(5) سورة النساء من آية (58).
(6) سورة الأنعام آية (151).
(7) سورة المؤمنون الآيات 1-5.
(8) سورة الحجرات آية (11).

وقال أيضا:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ﴾(1).

فالآيات الكريمة تدعو إلى التحلي بمكارم الأخلاق, والتخلي عن رذائلها, إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ما يدعو إليه القرآن من مكارم الأخلاق ومحاسن الخصال.

- **وأما السنة النبوية** فقد حثت على التحلي بمكارم الأخلاق, وبينت منزلتها في كثير من نصوصها, فكان من أهم غايات بعثته (ρ) إتمام مكارم الأخلاق.

كما أخبر بذلك النبي (ρ), فيما رواه الإمام أحمد في مسنده, والحاكم في المستدرك، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ (τ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ", ورواه البيهقي بلفظ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ"(2).

فكان (ρ) مجبولا على مكارم الأخلاق في أصل خلقته, مطبوعا عليها في أول فطرته بالجود الإلهي والتخصيص الرباني, ثم ازداد كمالا بكرم الله تعالى له وتشريفه بالنبوة والرسالة.

وما رواه الترمذي من حديث أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (ρ): اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ" (3).

فأمر (ρ) بتقواه في كل حال، والتقوى جماع خصال الخير.

وما رواه الإمام الترمذي أيضا من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا"(4).

فجعل (ρ) كمال الإيمان من كمال الخُلُق؛ لِأَنَّ كَمَالَ الْإِيمَانِ يُوجِبُ حُسْنَ الْخُلُقِ وَالْإِحْسَانَ إِلَى كَافَّةِ الْإِنْسَانِ, وجعل خيار المؤمنين خيارهم لنسائهم خُلُقًا؛ لِأَنَّهُنَّ مَحَلُّ الرَّحْمَةِ لِضَعْفِهِنَّ(1).

---

(1) سورة الحجرات آية (12).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده 381/2 (8939), والحاكم في المستدرك, كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين, 670/2 (4221), وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي, والبيهقي في السنن الكبرى, كتاب الشهادات, باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها, 191/10 (20571), وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد 188/8.

(3) أخرجه الترمذي في جامعه, كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ، بَاب ما جاء في مُعَاشَرَةِ الناس, 355/4 (1987) وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(4) أخرجه الترمذي في جامعه, كِتَاب الرَّضَاعِ، بَاب ما جاء في حَقِّ الْمَرْأَةِ على زَوْجِهَا، 466/3 (1162) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وما رواه أيضا من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنّ النَّبِيَّ (ρ) قَالَ: "مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ"[2].

فلقد بين (ρ) أن أعلى الثواب وأعظم الدرجات تنال بحسن الخلق، فما يُحبه الله تعالى ينال به أعلى الدرجات, وما يبغضه, يُحط به صاحبه في أسفل الدركات, والله تعالى يحب حسن الخلق, ويبغض الفاحش البذئ, والْفَاحِش: الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِمَا يُكْرَهُ سَمَاعَهُ أَوْ مَنْ يُرْسِلُ لِسَانَهُ بِمَا لَا يَنْبَغِي, والْبَذِيءُ: الْمُتَكَلِّمُ بِالْفُحْشِ.

وقد أكد هذا الحديث وبينه ما روي عَنْ جَابِرٍ (τ)، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ (ρ) قَالَ: " إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ[3]، وَالْمُتَشَدِّقُونَ[4]، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: "الْمُتَكَبِّرُونَ"[5].

د- خصائص القيم الأخلاقية

تميزت القيم الأخلاقية في الإسلام بمجموعة من الخصائص[6] منها:

أولاً: أنها إلالهية المصدر:

---

(1) ينظر: تحفة الأحوذي 273/4.

(2) أخرجه الترمذي في جامعه، كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ، بَاب ما جاء في حُسْنِ الْخُلُقِ, 362/4 (2002)، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(3) الثَّرْثَارُونَ: الثرثرة في الكلام الكثرة والترديد والمراد بهم الذين يكثرون الكلام تكلفا وخروجا عن الحق. ينظر لسان العرب مادة (ثرر) 102/4.

(4) الْمُتَشَدِّقُونَ: المتشدق المستهزىء بالناس يلوي شدقه بهم وعليهم و تشدق في كلامه فتح فمه واتسع. لسان العرب ماددة (شدق) 173/10.

(5) أخرجه الترمذي في جامعه، كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ، بَاب ما جاء في مَعَالِي الْأَخْلَاقِ, 370/4 (2018), قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ خِرَاشٍ الْبَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ= =هِلَالٍ، حَدَّثَنَا مُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ رَبِّهِ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ, رفعه, وقَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وفِي الْبَاب عن أبي هُرَيْرَةَ، وَرَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ الْمُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ (ρ) وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ، وَهَذَا أَصَحُّ وَالثَّرْثَارُ، هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ، وَالْمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلَامِ وَيَبْذُو عَلَيْهِمْ.

(6) ينظر: مَوْسُوعَةُ الأَخْلَاقِ للخراز ص 29-32, ط: مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت, الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م. ودستور الأخلاق في القرآن ص21, لمحمد بن عبد الله دراز (المتوفى: 1377هـ), ط: مؤسسة الرسالة, الطبعة: العاشرة 1418هـ / 1998م. وموسوعة الأخلاق الإسلامية,إعداد: مجموعة من الباحثين, الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت.

إن مصدر الأخلاق الإسلامية ينبع من مصدرها الأصلي وهو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة, وهذا من عظيم نعم الله تعالى على عباده وكمال فضله، فلم يتركها للأعراف أو التقاليد التي قد تُخطئ وتَضِل، ولا لنظرات العقول واجتهادات الأفكار التي تتضارب وتتباعد، فجعلها تنبع من مصدر أصيلا لا يتغير بتغير الأزمان، ولا يخضع لاختلاف البيئات والثقافات, ولا يرتبط بنفعية ولا مصلحة، وإنما جعلها في درجة عالية من السمو والرفعة, حيث جعل معيارها هو طلب رضا الله (Y) ورجاء ثوابه، والخوف من سخطه وعقابه، قال تعالى: ﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [1]. وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[2].

فجمعت هذه الآيات الكريمة جميع أصناف مكارم الألخلاق التي أمر الله بها عباده سوء كانت تلك الأخلاق متعلقة بحقوق الله تعالى, أو بحقوق المخلوقين, فلم تترك خلقا حسنا إلا وأمرت به, ولم تترك خلقا سيئا إلا ونهت عنه؛ لأن العدل يعني الوسطية في كل أمر، وهو ما جاء به الدين الإسلامي الحنيف, قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾[3]، وأمرت بالإحسان وهو الفضل, ونهت عن المنكر وهو جماع مساوئ الأخلاق.

- وأما السنة النبوية فقد حثت على التحلي بمكارم الأخلاق, فكان من أهم غاياته (ρ) إتمام مكارم الأخلاق, وقد أخبر (ρ) بذلك حيث قال: ""إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ". إلى غير ذلك من النصوص التي سبق ذكرها في بيان منزلة الأخلاق في الإسلام.

فقد دعا الإسلام إلى التحلي بالأخلاق الحسنة والتخلي عن الأخلاق السيئة، وذلك من خلال كثير من نصوص القرآن والسنة, فالمتأمل في تلك النصوص يجد أنه ما من خلق حسن إلا حسَّ عليه, ورغب فيه, وجعل له الثواب الجزيل من الله تعالى, وما من خلق سيئ إلا وحذر منه وذمه وحقره, وجعل عليه من الله العقاب، وكان الهدف من كل ذلك التأكيد على القيم الأخلاقية وضرورياتها لصلاح حال الفرد والمجتمع.

---

(1) سورة المائدة الآية 15-16.

(2) سورة النحل آية (90).

(3) سورة البقرة من الآية (143).

ثانيا: شاملة لكل نواحي الحياة:

فمن خصائص الأخلاق الإسلامية أنها تشمل جميع نواحي الحياة,الفردية والاجتماعية, الداخلية والخارجية, السياسية والاقتصادية... وغيرها, في السلم وفي الحرب، مع المسلمين بعضهم البعض, أو مع المسلمين وغيرهم, فالإسلام منظومة متكاملة من حيث الأخلاق، قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[1].

فانظر ما في هذه الآيات من الحث على مكارم الأخلاق والأمر بأن تعامل من عصى الله فيك بأن تطيع الله فيه.

وفي الحديث الشريف: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وقوله: " اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"[2]. إلى غير ذلك من النصوص التي سبق ذكرها.

فأمر (ρ) بتقواه في كل حال، والتقوى جماع خصال الخير، وأمر بمعاملة الناس بمحاسن الأخلاق، ولفظ الناس عام يشمل المسلم وغير المسلم.

والأخلاق الإسلامية تستمد شموليتها من شمولية الدين الإسلامي, فالإسلام يشمل العقيدة والعبادات والقوانين والنظم والآداب والسلوك والأخلاق, فهي بذلك تعنى بالجانب الروحي والعقلي والجسمي والخلقي والاجتماعي والجمالي، وهي عندما تتعهد هذه الجوانب بالتربية، فإنما تستهدف في الوقت نفسه تكاملها وسموها.

ثالثا: إلزامية:

فمن خصائص الأخلاق الإسلامية، أنها من لوازم الإيمان، فليس للعبد اختيار في التحلي بها أو التخلي عنها، بل يجب عليه أن يتحلى بها لأنها من لوازم الإيمان، فلا يستغنى الإيمان عن الأخلاق، فقد بين (ρ) ارتباط الأخلاق بالإيمان فقال: أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا"[3]. وقال أيضا: إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا"[4].

---

(1) سورة المائدة آية (2).

(2) أخرجه الترمذي في جامعه, كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ، بَاب ما جاء في مُعَاشَرَةِ الناس, 355/4 (1987) وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(3) أخرجه الترمذي في جامعه, كِتَاب الرَّضَاعِ، بَاب ما جاء في حَقِّ الْمَرْأَةِ على زَوْجِهَا، 466/3 (1162) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(4) أخرجه الترمذي في جامعه، كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ، بَاب ما جاء في مَعَالِي الْأَخْلَاقِ, 370/4 (2018).

رابعا: ثابتة لا تتغير:

إن القيم الأساسية في الإسلام ثابتة لا تتغير؛ لأنها صالحة لكل زمان ومكان, والأخلاق الإسلامية ليست من صنع الإنسان، ولذلك فهي قائمة على الزمان ما بقي الزمان على اختلاف البيئات والعصور، فهي ترجع إلى القيم العليا للإسلام, ومنها ثبات القيم الأخلاقية التي لا تقبل التغيير والاضطراب؛ لأنها جزء من الدين بل إنها غاية من غاياته التي بعث بها (ρ) حيث قال: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ".

خامسا: أنها تقوم على الثواب والعقاب:

إن الباعث على الالتزام بالقيم الأخلاقية, الحرص على إرضاء الله تعالى, ونيل ثوابه للفوز بجنته, وهذا الباعث له عظيم الأثر في نفوس المسلمين إذ يحملهم على الصبر ومجاهدة النفس, لترقى وتسموا، فتنال رضا الله (Y).

قال الإمام الغزالي (~): "واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا إليها سالكا سبلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها"[1].

فالله تعالى يثيب على فعل الخير بالحفظ والرعاية والعناية وتفريج الكروب والسعة في الرزق، والمسلم يفعل الخير طمعا فيما عند الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، وخوفا من العذاب الأليم لأهل معصيته، فإذا خلت الحياة من الثواب والعقاب، لا تستقيم، بل تصبح حياة عبثية.

ولقد اهتمت النصوص القرآنية والنبوية بهذا الجانب حيث رغبت في التحلي بمكارم الأخلاق وبين ثواب ذلك, وحذرت من الأخلاق السيئة وبينت عاقبتها، وقد بينا ذلك فيما سبق.

هـ - حدود الْأَخْلَاق والأعمال

إنَّ للأخلاق حدودا يجب ألا تجاوزها ولا تَنقَص عنها, فإن جاوزتها أو نَقَصَت عنها كانت خُلُقاً مذموما, وميزان ذلك كله العدل وعدم الإفراط أو التفريط, فأعدل الناس من قام بتلك الحدود فعلِمَها, وعمل بها, وعلَّمَها غيره.

قال الإمام ابن القيم (~): "للأخلاق حد مَتى جاوزته صَارَت عُدْوانًا وَمَتى قصّرت عَنهُ كَانَ نقصا ومهانة, فللغضب حد وَهُوَ الشجَاعَة المحمودة والأنفة من الرذائل والنقائص, وَهَذَا كَمَاله, فَإِذا جَاوز حَده تعدى صَاحبه وجار, وَإِن نقص

(1) إحياء علوم الدين 74/3.

عَنهُ جبن ولم يأنف من الرذائل... وَضَابِط هَذَا كُله الْعدْل, وَهُوَ الْأَخْذ بالوسط الْمَوْضُوع بَين طرفِي الإفراط والتفريط, وَعَلِيهِ بنَاء مصَالح الدُّنْيَا وَالْآخِرَة بل لَا تقوم مصلحَة الْبدن إِلَّا بِهِ فَإِنَّهُ مَتى خرج بعض أخلاطه عَن الْعدْل وجاوزه أَو نقص عَنهُ ذهب من صِحَّته وقوته بِحَسب ذَلِك, وَكَذَلِكَ الْأَفْعَال الطبيعية كالنوم والسهر وَالْأكل وَالشرب وَالْجِمَاع وَالْحَرَكَة والرياضة وَالْخلْوَة والمخالطة وَغير ذَلِك, إذا كَانَت وسطا بَين الطَّرفَيْنِ المذمومين كَانَت عدلا, وَإِن انحرفت إِلَى أَحدهمَا كَانَت نقصا وأثمرت نقصا, فَمن أشرف الْعُلُوم وأنفعها علم الْحُدُود وَلَا سِيمَا حُدُود الْمَشْرُوع الْمَأْمُور والمنهي, فَأعْلم النَّاس أعلمهم بِتِلْكَ الْحُدُود حَتَّى لَا يدْخل فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا, وَلَا يخرج مِنْهَا مَا هُوَ دَاخل فِيهَا, قَالَ تَعَالَى: **(الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ)** (1), فأعدل النَّاس من قَامَ بحدود الْأَخْلَاق والأعمال والمشروعات معرفَة وفعلا"(2).

ولهذا جاء الإسلام بالوسطية السمحة في كل نواحي الحياة, ونهى عن الرهبانية والابتداع والمغالاة, وأمر بالعدل ونهى عن الظلم, وهذا كله من كمال الأخلاق التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة, ومن أروع الأمثلة في ذلك ما رواه الشيخان من حديث أنس بن مالك (τ) قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (ρ) يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ (ρ) فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ (ρ) قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا، فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ) إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: " أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"(3).

فطريقة النبي (ρ) الحنيفية السمحة من غير إفراط أو تفريط, فيفطر ليتقوى على الصوم, وينام ليتقوى على القيام, ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل, فمن خالف ذلك فليس على طريقة النبي(ρ) ولا على منهجه.

---

(1) سورة التوبة من الآية (97).
(2) ينظر: الفوائد لابن القيم 139/1.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب النِّكَاحِ, بَاب التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ, 1949/5 (4776). ومسلم في صحيحه بنحوه, كِتَاب النِّكَاحِ, بَاب اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِليه وَوَجَدَ مُؤَنَهُ وَاشْتِغَالِ من عَجَزَ عن الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ (1401).

الفصل الثاني

ويشتمل على "نماذج من القيم الأخلاقية من خلال السنة النبوية"

وهي على النحو الآتي:

- الصبر قيمته ومنزلته.
- المحبة قيمتها ومنزلتها.
- الخشية قيمتها ومنزلتها.
- الحياء قيمته ومنزلته.

الصبر قيمته ومنزلته

تعريف الصبر

أصلُ الصَّبر الحَبْس وكلُّ من حَبَس شيئاً فقد صبَره, يقال: صبره عن الشيء يصبره صبرا حبسه, والصبر حبس النفس عن الجزع [1].

وفي المعجم الوسيط: "صبر صبرا تجلد و لم يجزع وانتظر في هدوء واطمئنان, ويقال: صبر على الأمر احتمله و لم يجزع، وفي التنزيل العزيز ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾"[2][3].

وعرفه الإمام ابن القَيِّم (~) فقال: "الصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط, وحبس اللسان عن الشكوى, وحبس الجوارح عن التشويش[4]"[5].

أنواع الصبر

وللصبر أهميته ومكانته عند الله (Y)؛ إذ إنه لا يقدر عليه إلا المخلصين من عباده أولي العزائم والهمم, وأصحاب الألباب والبصائر, قال سبحانه"وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ"[6], والمعنى ولمن صبر على إساءة إليه وغفر للمسيء إليه جرمه إليه فلم ينتصر منه وهو على الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه إن ذلك لمن عزم الأمور[7].

والصبر متعلق بجميع أحوال الإنسان مما له كسب فيه, وما لا كسب له فيه, فأحوال الإنسان تقع بين أمر يجب عليه امتثاله وتنفيذه, ونهي يجب عليه اجتنابه وتركه, وقدر يجرى عليه, فإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه فالصبر لازم له متعلق به في جميع أحواله, وعليه فالصبر ثلاثة أنواع, صبر على الطاعة, وصبر عن المعصية, وصبر على البلاء والاختبار.

---

(1) ينظر: تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري, 121/12, لسان العرب 438/4,مختار الصحاح للرازي 149/1.
(2) سورة الكهف من الآية (28) .
(3) المعجم الوسيط 505/1.
(4) التشويش: قيل: لا أصل له في العربية وأصله التهويش وهو التخليط. ينظر لسان العرب مادة (شوش)311/6.
(5) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم، 256/2.
(6) الشورى الآية (43).
(7) ينظر: تفسير الطبري 40/25.

قال ابن القَيّم (~): "الصبر ثَلَاثَةُ أَنْوَاع: صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ. وَصَبْرٌ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ. وَصَبْرٌ عَلَى امْتِحَانِ اللَّهِ. فَالْأَوَّلَانِ: صَبْرٌ عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالْكَسب. وَالثَّالِثُ: صَبْرٌ عَلَى مَا لَا كَسْبَ لِلْعَبْدِ فِيهِ".[1].

منزلة الصبر

ولأهمية الصبر ومكانته، فقد أمر الله (Y) به عباده, وأجزل لهم الثواب عليه, وحثهم عليه, ورغبهم فيه, وجعله سبب محبته ومعيته ونصره وعونه وحسن جزائه.

قال تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ** ﴾[2].

وأضاف الله (Y) أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا** ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ **وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا** ﴾[6]. وقال تعالى:﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[7].

ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى: ﴿ **وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾[8].

وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى: ﴿ **بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ** ﴾[9].

وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[10]. فعلق الفلاح بمجموع هذه الأمور.

---

(1) مدارج السالكين 156/2.
(2) سورة النحل من الآية (127).
(3) سورة السجدة آية (24).
(4) سورة الأعراف من الآية (137).
(5) سورة النحل من الآية (96).
(6) سورة القصص من الآية (54).
(7) سورة الزمر من الآية (10).
(8) سورة الأنفال من الآية (46).
(9) سورة آل عمران آية (125).
(10) سورة أل عمران (200).

وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى:﴿ **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾[1]. فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين.

وجعل الصبر عونا وعدة وأمر بالاستعانة به فقال: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**﴾[2]. فمن لا صبر له لا عون له.

وعلق محبته بالصبر فقال: ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾[3].

وقرن الصبر بأركان الإسلام ومقامات الإيمان كلها: فقرنه بالصلاة كقوله:﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** ﴾[4]. وقرنه بالأعمال الصالحة عموما كقوله﴿ **إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾[5]. وجعله قرين التقوى كقوله:﴿ **إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[6]. وجعله قرين الشكر كقوله: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾[7]. وجعله قرين الحق كقوله: ﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾[8]. وجعله قرين الرحمة كقوله:﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ** ﴾[9]. وجعله قرين اليقين كقوله:﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[10]. وجعله قرين الصدق كقوله: ﴿ **وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ**﴾[11] [12].

وكما أمر به القرآن الكريم أمرت به السنة النبوية أيضا كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (τ)، قَالَ: "مَرَّ النَّبِيُّ (ρ) بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ

---

(1) سورة البقرة آية (157).
(2) سورة البقرة من الآية (45).
(3) سورة آل عمران آية (146).
(4) سورة البقرة من الآية (45).
(5) سورة هود آية (11).
(6) سورة يوسف آية (90).
(7) سورة إبراهيم آية (5).
(8) سورة العصر آية (3).
(9) سورة البلد آية (17).
(10) سورة السجدة آية (24).
(11) سورة الأحزاب من الآية (35).
(12) ينظر: إحياء علوم الدين 61/4، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم, 57/1, بتصرف.

بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ (ρ) فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ (ρ) فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى"[1].

فإن مفاجئات المصيبة بغتة لها روعة تزعزع القلب وتزعجه وهى الصدمة الأولى, وأما إذا وردت عليه بعد ذلك توطن لها وعلم انه لا بد له منها فيصير صبره شبيه الاضطرار, وهذه المرأة لما علمت أن جزعها لا يجدي عليها شيئا جاءت تعتذر إلى النبي (ρ), كأنها تقول له قد صبرت فأخبرها أن الصبر إنما هو عند الصدمة الأولى.

قال الإمام العيني (~): "إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى" أي إنما الصبر الكامل ليصح معنى الحصر على الصدمة الأولى، وأصل الصدم لغة الضرب في الشيء الصلب, ثم استعير لكل أمر مكروه, وحاصل المعنى: أن الصبر الذي يكون عند الصدمة الأولى هو الذي يكون صبرا على الحقيقة, وأما السكون بعد فوات المصيبة ربما لا يكون صبرا بل قد يكون سلواه, كما يقع لكثير من أهل المصائب, بخلاف أول وقوع المصيبة فإنه يصدم القلب بغتة فلا يكون السكون عند ذلك والرضا بالمقدور إلاَّ صبرا على الحقيقة, وقال الخطابي: المعنى أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو[2], وقيل: إن المرء لا يؤجر على المصيبة لأنها ليست من صنعه وإنما يؤجر على حسن نيته وجميل صبره, وقال ابن بطال: أراد أن لا يجتمع عليها مصيبة الهلاك وفقد الأجر"[3].

بيان منزلة الصابرين

بين النبي (ρ) منزلة الصابرين وعاقبتهم كما في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ρ) يَقُولُ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا ".قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُوسَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ρ) ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ (ρ) قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ (ρ) حَاطِبَ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْجَنَائِزِ, بَاب زِيَارَةِ الْقُبُورِ,430/1 (1223), ومسلم في صحيحه, كِتَاب الْجَنَائِزِ، بَاب في الصَّبْرِ على الْمُصِيبَةِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى,637/2 (926).

(2) يسلو: يفارقه ما كان به من هم.مقاييس اللغة 91/3.

(3) عمدة القاري 68/8.

بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ(1).

فأجزل الله (Y) العطاء لأم سلمة على صبرها, فتزوجت بخير البرية (ρ), فهل بعد هذا العطاء عطاء؟

وما رواه الترمذي في جامعه، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ρ) قَالَ: "إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ"(2).

قيل: سَمَّى الْوَلَدَ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ لِأَنَّهُ نَتِيجَةُ الْأَبِ كَالثَّمَرَةِ لِلشَّجَرَةِ ومعنى: وَاسْتَرْجَعَ أَيْ قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وأَضَافَ الْبَيْتَ إِلَى الْحَمْدِ الَّذِي قَالَهُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ لِأَنَّهُ جَزَاءُ ذَلِكَ الْحَمْدِ (3).

وفي صحيح البخاري من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (τ)، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (ρ) يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: " إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ"، يُرِيدُ عَيْنَيْهِ (4).

قال ابن حجر: المُراد بِالحَبِيبَتَينِ المَحبُوبَتانِ لأَنَّهُما أَحَبّ أَعضاء الإنسان إِلَيهِ، لِما يَحصُل لَهُ بِفَقدِهِما مِنَ الأَسَف عَلَى فَوات رُؤيَة ما يُرِيد رُؤيَته مِن خَير فَيُسَرّ بِهِ، أَو شَرّ فَيَجتَنِبهُ.قوله: (فَصَبَرَ)؛ زادَ التِّرمِذِيّ فِي رِوايَته عَن أَنَس (واحتَسَبَ)، والمُراد أَنَّهُ يَصبِر مُستَحضِرًا ما وعَدَ الله بِهِ الصّابِر مِنَ الثَّواب، لا أَن يَصبِر مُجَرَّدًا عَن ذَلِكَ، لأَنَّ الأَعمال بِالنِّيّاتِ، وابتِلاء الله عَبده فِي الدُّنيا لَيسَ مِن سُخطه عَلَيهِ بَل إِمّا لِدَفعِ مَكرُوه أَو لِكَفّارَةِ ذُنُوب أَو لِرَفعِ مَنزِلَة، فَإِذا تَلَقَّى ذَلِكَ بِالرِّضا تَمَّ لَهُ المُراد وإِلاَّ يَصِير كَما جاءَ فِي حَدِيث سَلمان (أَنَّ مَرَض المُؤمِن يَجعَلهُ الله لَهُ

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه, كِتَاب الْجَنَائِزِ، بَاب مَا يُقَالُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ, 631/2 (918).

(2) أخرجه الترمذي في جامعه, كِتَاب الْجَنَائِزِ, بَاب فَضْلِ الْمُصِيبَةِ إِذا احْتَسَبَ,341/3 (1021), وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. قلت: فيه عيسى ابن سنان الحنفي أبو سنان القسملي -بفتح القاف وسكون المهملة وفتح الميم وتخفيف اللام- الفلسطيني نزيل البصرة, قال الذهبي:ضُعف ولم يترك, وقال ابن حجر: لين الحديث, وقال الهيثمي: وثقه ابن حبان وابن خراش في رواية وضعفه أحمد والبخاري ويحيى بن معين. ينظر ترجمته: الكاشف للذهبي110/2, تهذيب التهذيب 189/8, تقريب التهذيب 438/1, مجمع الزوائد6/4.

(3) ينظر: تحفة الأحوذي 87/4.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الْمَرْضَى، بَاب فَضْلِ من ذَهَبَ بَصَرُهُ, 2140/5 (5329), والترمذي في جامعه، كِتَاب الزُّهْدِ، بَاب مَا جَاء فِي ذَهَابِ الْبَصَرِ,602/4 (2400)، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

كَفّارَة ومُستَعتَبًا، وأَنَّ مَرَض الفاجِر كالبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهله ثُمَّ أَرسَلُوهُ فَلا يَدرِي لِمَ عُقِلَ ولِمَ أُرسِلَ) أَخرَجَهُ البُخارِيّ فِي الأَدَب المُفرَد[1] مَوقُوفًا.قوله: (عَوَّضته مِنهُما الجَنَّة) وهَذا أَعظَم العِوض، لأَنَّ الالتِذاذ بِالبَصَرِ يَفنَى بِفناءِ الدُّنيا والالتِذاذ بِالجَنَّةِ باقٍ بِبَقائِها، وهُو شامِل لِكُلِّ مَن وقَعَ لَهُ ذَلِكَ بِشَرطِ المَذكُور[2].

وما أخرجه البخاري في صحيحه أيضا عن عَطَاء بْن أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ (ρ) فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا"[3].

قال ابن حجر: "وفِي الحَدِيث فَضل مَن يُصرَع، وأَنَّ الصَّبر عَلَى بَلايا الدُّنيا يُورِث الجَنَّة، وأَنَّ الأَخذ بِالشِّدَّةِ أَفضَل مِنَ الأَخذ بِالرُّخصَةِ لِمَن عَلِمَ مِن نَفسه الطّاقَة ولَم يَضعُف عَن التِزام الشِّدَّة، وفِيهِ دَلِيل عَلَى جَواز تَرك التَّداوِي، وفِيهِ أَنَّ عِلاج الأَمراض كُلّها بِالدُّعاءِ والالتِجاء إِلَى الله أَنجَع وأَنفَع مِنَ العِلاج بِالعَقاقِيرِ، وأَنَّ تَأثِير ذَلِكَ وانفِعال البَدَن عَنهُ أَعظَم مِن تَأثِير الأَدوِيَة البَدَنِيَّة، ولَكِن إِنَّما يَنجَع بِأَمرَينِ: أَحَدهما مِن جِهَة العَلِيل وهُو صِدق القَصد، والآخَر مِن جِهَة المُداوِي وهُو قُوَّة تَوَجُّهه وقُوَّة قَلبه بِالتَّقوى والتَّوَكُّل"[4].

قال ابن القيّم (~): قيل:فَهَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي جَاءَ الْحَدِيثُ أَنَّهَا كَانَتْ تُصْرَعُ وَتَتَكَشَّفُ، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صَرَعُهَا مِنْ لِأَمْرَاضِ الْمُزْمِنَةِ الملازمة لصاحبها حتى الموت، فَوَعَدَهَا النَّبِيُّ (ρ) الْجَنَّةَ بِصَبْرِهَا عَلَى هَذَا الْمَرَضِ، وَدَعَا لَهَا ألا تتكشف، وَخَيَّرَهَا بَيْنَ الصَّبْرِ وَالْجَنَّةِ، وَبَيْنَ الدُّعَاءِ لَهَا بِالشِّفَاءِ مِنْ غَيْرِ ضَمَانٍ، فَاخْتَارَتِ الصَّبْرَ وَالْجَنَّةَ.

ثم قال (~) وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَرْكِ الْمُعَالَجَةِ وَالتَّدَاوِي، وَأَنَّ عِلَاجَ الْأَرْوَاحِ بِالدَّعَوَاتِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ يَفْعَلُ مَا لَا يَنَالُهُ عِلَاجُ الْأَطِبَّاءِ، وَأَنَّ تَأْثِيرَهُ وَفِعْلَهُ، وَتَأَثُّرَ الطَّبِيعَةِ عَنْهُ وَانْفِعَالَهَا أَعْظَمُ مِنْ تَأْثِيرِ الْأَدْوِيَةِ الْبَدَنِيَّةِ، وَانْفِعَالِ الطَّبِيعَةِ عَنْهَا، وَقَدْ جَرَّبْنَا هَذَا مِرَارًا نَحْنُ وَغَيْرُنَا، وَعُقَلَاءُ الْأَطِبَّاءِ مُعْتَرِفُونَ بِأَنَّ لِفِعْلِ الْقُوَى النَّفْسِيَّةِ، وَانْفِعَالَاتِهَا فِي شِفَاءِ الْأَمْرَاضِ عَجَائِبُ، وَمَا عَلَى الصِّنَاعَةِ

---

(1) الأدب المفرد ص 173 (493) وقال الشيخ الألباني صحيح.

(2) ينظر: فتح الباري 116/10.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْمَرْضَى، بَاب فَضْلِ من يُصْرَعُ من الرِّيح، 2140/5 (5328)، ومسلم في صحيحه, كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ من مَرَضٍ أو حُزْنٍ أو نَحْوِ ذلك حتى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا, 1994/4 (2576).

(4) فتح الباري 115/10.

الطِّبِّيَّةِ أَضَرُّ مِنْ زَنَادِقَةِ الْقَوْمِ، وَسِفْلَتِهِمْ، وَجُهَّالِهِمْ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ صَرَعَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ كَانَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ الْأَرْوَاحِ، وَيَكُونُ رَسُولُ اللَّهِ (ρ) قَدْ خَيَّرَهَا بَيْنَ الصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ مَعَ الْجَنَّةِ، وَبَيْنَ الدُّعَاءِ لَهَا بِالشِّفَاءِ، فاختارت الصبر والستر[1].

وما رواه البخاري في صحيحه عن عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): " مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا"[2].

ورواه أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ (ρ) قَالَ: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ"[3].

فهذا الحديث بشارة عظيمة للمسلمين، فإنه قلما ينفك الواحد منهم ساعة من شئ من هذه الأمور, وفيه تكفير الخطايا والذنوب بالأمراض والأسقام والمصائب, وإن قلت مشقتها.

قال ابن حجر: "أصل المُصِيبَة الرَّمِيَة بِالسَّهمِ ثُمَّ استُعمِلَت فِي كُلّ نازِلَة.وقالَ الرّاغِب: أَصابَ يُستَعمَل فِي الخَير والشَّرّ.قالَ الله تَعالَى: ﴿**إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ** ﴾[4], قالَ: وقِيلَ: الإِصابَة فِي الخَير مَأخُوذَة مِنَ الصَّوب وهُو المَطَر الَّذِي يَنزِل بِقَدرِ الحاجَة مِن غَير ضَرَر، وفِي الشَّرّ مَأخُوذَة مِن إِصابَة السَّهم. وقالَ الكَرمانِيُّ[5]: المُصِيبَة فِي اللُّغَة ما يَنزِل بِالإِنسانِ مُطلَقًا، وفِي العُرف ما نَزَلَ بِهِ مِن مَكرُوه خاصَّة، وهُو المُراد هُنا"[6].

وكان (ρ) القدوة والمثل الأعلى في كل أحواله فقد ابتُلي كثير وصبر ومن ذلك:

ما رواه البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (τ)، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ (ρ) وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ

---

(1) الطب النبوي لابن القيم ص54.
(2) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْمَرْضَى, بَاب ما جاء في كَفَّارَةِ الْمَرَضِ,2137/5 (5317).
(3) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْمَرْضَى, بَاب ما جاء في كَفَّارَةِ الْمَرَضِ,2137/5 (5318).
(4) سورة التوبة من الآية (50).
(5 الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري 175/20.
(6) فتح الباري 104/10.

إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ (ρ) قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: " مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ"(1).

قال النووي (~): "فيه احتمال الجاهلين والإعراض عن مقابلتهم, ودفع السيئة بالحسنة, وإعطاء من يتألف قلبه والعفو عن مرتكب كبيرة لا حد فيها بجهله, وإباحة الضحك عند الأمور التي يتعجب منها في العادة, وفيه كمال خلق رسول الله (ρ) وحلمه وصفحه الجميل"(2).

وما رواه الشيخان عن عَبْد اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ (τ): دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ρ) وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ، فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ) أَجَلْ ثُمَّ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ (ρ): " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا"(3).

وما رواه أحمد في مسنده, والترمذي في جامعه, عن مُصْعَب بْن سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّه (ρ): أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: فَقَالَ: " الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"(4).

والمقصود بهذا الحديث الحث على الصبر على البلاء بعد وقوعه لا الترغيب في طلبه.

قال المباركفوري: "الْأَنْبِيَاءُ هُمْ أَشَدُّ فِي الِابْتِلَاءِ لِأَنَّهُمْ يَتَلَذَّذُونَ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَتَلَذَّذُ غَيْرُهُمْ بِالنَّعْمَاءِ، وَلِأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يُبْتَلَوْا لَتُوُهِّمَ فِيهِمْ الْأُلُوهِيَّةُ، وَلِيُتَوَهَّنَ عَلَى الْأُمَّةِ الصَّبْرُ عَلَى الْبَلِيَّةِ"(5).

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَاب ما كان النبي (ε) يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ من الْخُمُسِ, 1148/3(2980)، ومسلم في صحيحه، كِتَاب الزَّكَاةِ, بَاب إِعْطَاءِ من سَأَلَ بِفُحْشٍ وَغِلْظَةٍ, 730/2 (1057).

(2) شرح النووي 147/7.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْمَرْضَى، بَاب وَضْعِ الْيَدِ على الْمَرِيضِ,2143/5 (5336), ومسلم في صحيحه, كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ من مَرَضٍ أو حُزْنٍ أو نَحْوِ ذلك حتى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، 1991/4 (2571).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده 185/1 (1607), والترمذي في جامعه, كِتَاب الزُّهْدِ، بَاب ما جاء في الصَّبْرِ على الْبَلَاءِ،601/4 (2398), وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(5) تحفة الأحوزي 66/7.

وقال النَوَويّ: قَالَ الْعُلَمَاء: وَالْحِكْمَة فِي كَوْن الْأَنْبِيَاء أَشَدّ بَلَاء ثُمَّ الْأَمْثَل فَالْأَمْثَل أَنَّهُمْ مَخْصُوصُونَ بِكَمَالِ الصَّبْر، وَصِحَّة الِاحْتِسَاب، وَمَعْرِفَة أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَة مِنْ اللَّه تَعَالَى لِيَتِمّ لَهُمْ الْخَيْر، وَيُضَاعَف لَهُمْ الْأَجْر، وَيَظْهَر صَبْرهمْ وَرِضَاهُمْ[1].

وفيه بيان فضل الله تعالى ورحمته أنه يبتلي العبدَ بما يُطِيْقُ، كما في قوله تَعَالَى ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[2].

- وما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن خَبَّاب بْنِ الْأَرَت (τ)، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ρ) وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا: لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا، قَالَ: " كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ"[3].

قال ابن حجر (~): "قالَ ابن التِّين: كانَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ فُعِلَ بِهِم ذَلِكَ أَنبِياء أَو أَتباعهم، قالَ: وكانَ فِي الصَّحابَة مَن لَو فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ لَصَبَرَ، إِلَى أَن قالَ: وما زالَ خَلق مِنَ الصَّحابَة وأَتباعهم فَمَن بَعدهم يُؤذَونَ فِي الله، ولَو أَخَذُوا بِالرُّخصَةِ لَساغَ لَهُم"[4].

وترجع عناية الإسلام بالصبر لما له من قيمة عظيمة وغالية, فليس هو من الفضائل الثانوية أو المكملة, بل هو أُسٌّ في بناء الفرد والمجتمع, وضرورة لازمة للنجاح والفوز في الدنيا والآخرة.

الأسباب التي تعين على الصبر

وللصبر أسباب تعين عليه منها:

1- الإيمان بالله والخوف منه.
2- مجاهدة النفس وترويضها على الطاعة والعبادة.
3- الصحبة الحسنة, وملازمة الصالحين.
4- معرفة ما أعده الله (Y) للصابرين.

---

(1) شرح النووي 129/16.
(2) سورة البَقَرَة من الآية (286).
(3) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْمَنَاقِبِ، بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ في الْإِسْلَامِ، 1323/3 (3416).
(4) فتح الباري 167/7.

5- معرفة ما أعده الله (Y) للقانطين الساخطين.

قال ابن القيم: لما كان الصبر مأمورا به, جعل الله سبحانه له أسبابا تعين عليه, وتوصل إليه, فالصبر وان كان شاقا كريها على النفوس, فتحصيله ممكن, وهو يتركب من مفردين العلم والعمل, فمنهما تركب جميع الأدوية التي تداوى بها القلوب والأبدان, فلا بد من جزء علمي وجزء عملي, فمنها يركب هذا الدواء الذي هو أنفع الأدوية, فأما الجزء العلمي: فهو إدراك ما في المأمور من الخير والنفع واللذة والكمال, وإدراك ما في المحظور من الشر والضر والنقص, فإذا أدرك هذين العلمين كما ينبغي, أضاف إليهما العزيمة الصادقة والهمة العالية والنخوة والمروءة الإنسانية, وضم هذا الجزء إلى هذا الجزء, فمتى فعل ذلك حصل له الصبر, وهانت عليه مشاقه, وحلت له مرارته وانقلب ألمه لذة، والصبر مصارعة باعث العقل والدين لباعث الهوى والنفس, وكل متصارعين أراد أن يتغلب أحدهما على الآخر, فالطريق فيه تقوية من أراد أن تكون الغلبة له[1].

من عوائق الصبر: الغضب.

ولما كان الغضب منافيا للصبر, وكان للغضب أثر عظيم على النفوس كان لابد من بيانه, وإظهار حقيقته، وأسبابه، وعلاجه, والضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتميز الأشياء.

قال الإمام الغَزَاليّ (~): "ومن نتائج الغضب الحقد والحسد, وبهما هلك من هلك وفسد من فسد, ومفيضهما مضغة إذا صلحت صلح معها سائر الجسد, وإذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد إلى مواطن العطب, فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساويه, ليحذر ذلك ويتقيه, ويميطه عن القلب إن كان وينفيه, ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه, فإن من لا يعرف الشر يقع فيه, ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه"[2].

حقيقة الغضب

قال الإمام الغَزَاليّ (~) الغضب محلها القلب ومعناها: غليان دم القلب بطلب الانتقام, وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها, والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها, وفيه لذتها, ولا تسكن إلا به.

ثم إن الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة من التفريط والإفراط والاعتدال, أما التفريط: فبفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم, وهو

(1) ينظر: عدة الصابرين 41/1.
(2) إحياء علوم الدين 164/3

الذي يقال فيه إنه لا حمية له, ولذلك قال الشافعي (~) من استغضب فلم يغضب فهو حمار, فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلا فهو ناقص جدا, وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي (ρ) بالشدة والحمية فقال ﴿ **أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾[1]. وقال لنبيه (ρ) ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[2] وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب.

وأما الإفراط: فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته, ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار, بل يصير في صورة المضطر[3].

ذم الغضب وبيان ثواب من كظم غيظه.

قال تَعَالَى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**﴾[4] وقال: ﴿ **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[5].

قال الإمام العيني (~): "احْتج للحذر من الْغَضَب بالآيتين الكريمتين، وَقَالَ بَعضهم: وَلَيْسَ فِي الْآيَتَيْنِ دلَالَة على التحذر من الْغَضَب إلاَّ أَنه لما ضم من يَكْظِم غيظه إِلَى من يجْتَنب الْفَوَاحِش كَانَ فِي ذَلِك إِشَارَة إِلَى الْمَقْصُود. قلت: لَيْسَ كَمَا قَالَ، بل فِي كل مِنْهُمَا دلَالَة على التحذر من الْغَضَب أما الْآيَة الأولى فَفِي مدح الَّذين يجتنبون كَبَائِر الْإِثْم، قَالَ ابْن عَبَّاس: هُوَ الشّرك وَالْفَوَاحِش، قَالَ السّديّ: يَعْنِي الزِّنَا. وَقَالَ مقَاتل: يَعْنِي مُوجبَات الْحُدُود ﴿ **وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾[6]. بِمَعْنى: يتجاوزون ويحلمون، وَقد قيل: إِن هَذِه وَمَا قبلهَا نزلت فِي أبي بكر الصّديق (τ)، فَإِذا كَانَ مَا ذكر فِيهَا مدحاً يكون ضِدّه أَن لَا يتَجَاوَز الشَّخْص إِذا غضب، فَدلَّ ذَلِك بِالضَّرُورَةِ على التحذر من الْغَضَب المذموم، وَأما الْآيَة الْأُخْرَى فَفِي مدح الْمُتَّقِينَ الَّذين وَصفهم الله بِهَذِهِ الْأَوْصَاف الْمَذْكُورَة فِيهَا، فَيدل ضد هَذِه الْأَوْصَاف على الذَّم، وَمن الذَّم: عدم كظم الغيظ، وَعدم الْعَفو عَن النَّاس، وَعدم

(1) سورة الفتح من الآية (29).
(2) سورة التحريم آية (9).
(3) إحياء علوم الدين 167/3.
(4) سورة الشورى آية (37).
(5) سورة آل عمران آية (134).
(6) سورة الشورى من الآية (37).

كظم الغيظ هُوَ عين الْغَضَب، فَدلَّ ذَلِك أَيْضا على التحذر من الْغَضَب، فَافْهَم، وَالله أعلم"[1].

وقال الله تعالى: ﴿ **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[2].

فلقد ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل, ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة.

ولقد حفلت السنة النبوية بكثير من النصوص في التحذير من الغضب وبيان ثواب من كظم غضبه منها:

- ما رواه البخاري, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (τ)، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ (ρ): أَوْصِنِي، قَالَ: " لَا تَغْضَبْ " فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: " لَا تَغْضَبْ" [3].

قال ابن حجر: قال ابن بطال[4]: في الحديث إن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو؛ لأنه (ρ) جعل الذي يملك نفسه عند الغضب أعظم الناس قوة, وقال غيره: جمع (ρ) في قوله لا تغضب خير الدنيا والآخرة؛ لأن الغضب يؤول إلى التقاطع ومنع الرفق وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين[5].

ولقد علمنا النبي (ρ) الطريق إلى التخلق بتلك الخصال ومكارم الأخلاق فقال (ρ): "إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوَقَّهُ"[6]

- وما رواه الترمذي (~) في جامعه من حديث مُعَاذِ بن أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ عن النبي (ρ) قال " مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ"[7].

---

(1) عمدة القاري 163/22.

(2) سورة الفتح من الآية (26).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْأَدَبِ, بَاب الْحَذَرِ من الْغَضَبِ, 2267/5 (5765).

(4) شرح صحيح البخاري لابن بطال 296/9.

(5) فتح الباري 520/10 بتصرف يسير.

(6) أخرجه أبو بعيم في الحلية 174/5,وابن عساكر في تاريخ دمشق 97/18, من حديث أبي الدرداء, وفيه: محمد بن الحسن المعشاري وهو ضعيف.

(7) أخرجه الترمذي في جامعه، كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ، بَاب في كَظْمِ الْغَيْظِ، 372/4 (2021)، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. قلت: فيه سهل بن معاذ الجهني وهو ضعيف الحديث.

"قَوْلُهُ: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا) أَيْ اِجْتَرَعَ غَضَبًا كَامِنًا فِيهِ.قَالَ فِي النِّهَايَةِ كَظْمُ الْغَيْظِ تَجَرُّعُهُ وَاحْتِمَالُ سَبَبِهِ وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ اِنْتَهَى قوله: (وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ) بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ أَيْ يُمْضِيَهُ. قوله: (دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ) أَيْ شَهَرَهُ بَيْنَ النَّاسِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَتَبَاهَى بِهِ وَيُقَالُ فِي حَقِّهِ هَذَا الَّذِي صَدَرَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْخَصْلَةُ الْعَظِيمَةُ, قوله: (حَتَّى يُخَيِّرَهُ) أَيْ يَجْعَلَهُ مُخَيَّرًا قوله: (فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ) أَيْ فِي أَخْذِ أَيِّهِنَّ شَاءَ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ إِدْخَالِهِ الْجَنَّةَ الْمَنِيعَةَ، وَإِيصَالِهِ الدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ، قَالَ الطِّيبِيُّ: وَإِنَّمَا حُمِدَ الْكَظْمُ لِأَنَّهُ قَهْرٌ لِلنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَلِذَلِكَ مَدَحَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: " **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** " (1) وَمَنْ نَهَى النَّفْسَ عَنْ هَوَاهُ فَإِنَّ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ وَالْحُورَ الْعِينَ جَزَاهُ. قَالَ الْقَارِي: وَهَذَا الثَّنَاءُ الْجَمِيلُ وَالْجَزَاءُ الْجَزِيلُ إِذَا تَرَتَّبَ عَلَى مُجَرَّدِ كَظْمِ الْغَيْظِ فَكَيْفَ إِذَا اِنْضَمَّ الْعَفْوُ إِلَيْهِ أَوْ زَادَ بِالْإِحْسَانِ عَلَيْهِ(2).

ولقد أخبر النبي (ρ) أن الصبر يحبه الله (Y) فقال (ρ) لأحد أصحابه: "إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ، الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ"(3).

وما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو انه سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ (ρ) مَاذَا يباعدني من غَضِبِ اللَّهِ (Y) قال لاَ تَغْضَبْ(4).

وما رواه الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (τ)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ρ) قَالَ: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ"(5).

قال ابن حجر: قوله: (لَيسَ الشَّدِيد بِالصُّرَعَةِ) - بِضَمِّ الصّاد والمُهمَلَة وفَتح الرّاء-: الَّذِي يَصرَع النّاس كَثِيرًا بِقُوَّتِهِ، والهاء لِلمُبالَغَةِ فِي الصِّفَة، والصُّرْعَة - بِسُكُونِ الرّاء - بِالعَكسِ وهُو مَن يَصرَعهُ غَيره كَثِيرًا. وقوله: (إِنَّما الشَّدِيد الَّذِي

---

(1) سورة آل عمران من الآية (134).

(2) ينظر: تحفة الأحوزي 140/6.

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه, كتاب الإيمان, بَاب الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ,48/1(17) جزء من حديث.

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده 175/2 (6635), قال الهيثمي: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وهو لين الحديث وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد 69/8.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب الْحَذَرِ من الْغَضَبِ،2267/5 (5763), ومسلم في صحيحه, كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب فَضْلِ من يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ,2014/4 (2609).

يَملِك نَفسه عِندَ الغَضَب), والمعنى: أي الَّذِي يَغضَب فَيَشتَدّ غَضَبه ويَحمَرّ وجهه فَيَصرَع غَضَبه[1].

وما رواه الطبراني عن أنس قال: قال رسول الله (ρ): "من دفع غضبه دفع الله عنه عذابه, ومن حفظ لسانه ستر الله عورته", لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا خالد ولا عن خالد إلا عبد السلام تفرد به هلال[2].

وما رواه الطبراني أيضا عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: " لا تَغْضَبْ، وَلَكَ الْجَنَّةُ"[3].

قال الإمام المُناوي (~): يترتب على التحرز من الغضب حصول الخير الدنيوي والأخروي, وهذه الأخبار من جوامع الكلم, وبدائع الحكم, فقد حوت هذه اللفظة وهي لا تغضب من استجلاب المصالح ودرء المفاسد مما لا يمكن عده ولا ينتهي حده, وقد تضمنت أيضا دفع أكثر الشرور من الإنسان, فإنه في مدة حياته بين لذة وألم, فاللذة سببها ثوران الشهوة بنحو أكل أو جماع, والألم سببه ثوران الغضب, ثم كل من اللذة والغضب قد يباح تناوله أو دفعه كنكاح الزوجة ودفع قاطع الطريق, وقد يحرم كالزنا والقتل, فالشر إما عن شهوة كالزنا, أو عن غضب كالقتل, فهما أصل الشرور ومبدؤها فبتجنب الغضب يندفع نصف الشر بهذا الاعتبار وأكثره في الحقيقة فإن الغضب يتولد عنه القذف والهجر والطلاق والحقد والحسد والحلف الموجب للحنث أو الندم بل والقتل بل والكفر.

وبهذا التقرير فحديث الغضب هذا ربع الإسلام؛ لأن الأعمال خير وشر, والشر ينشأ عن شهوة أو غضب, والخبر يتضمن نفي الغضب فتضمن نفي نصف الشر[4].

علامات الغضب وآثاره

ولقد حذر الإسلام من الغضب لما يترتب عليه من الآثار الظاهرة والباطنة, أما الآثار الظاهر فمنها اضطراب السلوك وانحرافه وخروجه عما أمر الله (Y) به, وأما الأسباب الباطنة فمنها الحقد والحسد وهما من أسباب هلاك المجتمع وفساده.

---

(1) ينظر فتح الباري 519/10.
(2) أخرجه الطبراني في الأوسط 82/2 (1320), وقال الهيثمي: وفيه عبد السلام بن هلال وهو ضعيف. مجمع الزوائد 70/8.
(3) أخرجه الطبراني في الأوسط 25/3 (2353)، وإسناد ضعيف فيه محمد بن حفص الوصابي, وهو ضعيف الحديث.
(4) ينظر: فيض القدير 414/6.

قال الإمام الغزالي (~): آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف, وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام, واضطراب الحركة والكلام..., وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره, فإن الظاهر عنوان الباطن,... وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه, فالحقد والحسد وإضمار السوء والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على إفشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح, فهذه ثمرة الغضب المفرط [1].

أسباب الغضب

ولما كان للغضب تلك الآثار السيئة الظاهرة منها والباطنة, كان لابد من معرفة الأسباب الموصلة له ليحذر الإنسان منها ويبتعد عنها, ومن أهم هذه الأسباب البعد عن التخلق والاقتداء بخلق رسول الله (ρ)[2].

علاج الغضب

ولما كان للغضب تلك الآثار السيئة فقد حذر النبي (ρ) من الوقوع فيه, ولما كان لا ينفك عن الإنسان؛ لأنه متعلق بما يجيش في خاطره من الحب والكره, وهو أنه ما بقي الإنسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو من الغيظ والغضب, وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه، والغضب يتبع ذلك, فإنه إذا أخذ منه محبوبه غضب لا محالة, وإذا قصد بمكروه غضب لا محالة؛ لذا بين لنا النبي (ρ) الطريق لعلاج هذا الغضب فقال (ρ)**:**

كما في الحديث الذي رواه الشيخان, من حديث سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ (ρ) فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ρ): " إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ "، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ (ρ) وَقَالَ: تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: أَتُرَى بِي بَأْسٌ، أَمَجْنُونٌ أَنَا اذْهَبْ[3].

قال الإمام النووي (~): "فيه أن الغضب في غير الله تعالى من نزغ الشيطان, وأنه ينبغي لصاحب الغضب أن يستعيذ فيقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأنه سبب لزوال الغضب. وأما قول هذا الرجل الذي اشتد غضبه هل ترى

---

(1) ينظر: إحياء علوم الدين 168/3.
(2) من أراد التفصيل في أسباب الغضب فليراجع إحياء علوم الدين 172/3.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْأَدَبِ, بَاب ما يُنْهَى من السِّبَابِ وَاللَّعْنِ, 2248/5 (5701), وبَاب الْحَذَرِ من الْغَضَبِ، 2267/5 (5764), ومسلم في صحيحه, كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ, بَاب فَضْلِ من يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ, 2015/4 (2610).

بي من جنون؟ فهو كلام من لم يفقه في دين الله تعالى, ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة, وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالمجنون, ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان ولهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله ويتكلم بالباطل ويفعل المذموم وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح المترتبة على الغضب, ولهذا قال النبي (ρ) للرجل الذي قال له أوصني لا تغضب, فردد مرارا قال لا تغضب, فلم يزده في الوصية على لا تغضب مع تكراره الطلب, وهذا دليل ظاهر في عظم مفسدة الغضب وما ينشأ منه, ويحتمل أن هذا القائل هل ترى بي من جنون كان من المنافقين أو من جفاة الأعراب[1].

وما رواه أَبو سَعِيدٍ (τ)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ρ) يَقُولُ: اتَّقُوا الْغَضَبَ فَإِنَّهَا جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى انْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ وَحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ، فَمَنْ أَحَسَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَلْزِقْ بِالأَرْضِ"[2].

وما رواه أبو داود في سننه أن رسول الله (ρ) قال: إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ"[3].

وما رواه أحمد في مسنده عن ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ (ρ) أَنَّهُ قَالَ: " عَلِّمُوا، وَيَسِّرُوا، وَلَا تُعَسِّرُوا، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ[4].

قال الإمام الغزالي (~): يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل.

أما العلم فهو ستة أمور:

الأول: أن يتفكر في الأخبار المتعلقة بفضل كظم الغيظ والعفو والحلم.

الثاني: أن يخوف نفسه بعقاب الله.

---

(1) شرح النووي 163/16.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه, كتاب الأدب، ما ذكر في الغضب مما يقوله الناس,216/5 (25384), وإسناده ضعيف؛ فيه: علي بن زيد القرشي, وهو ضعيف الحديث.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب مَا يُقَالُ عِنْدَ الْغَضَبِ, 249/4 (4784), وإسناده حسن؛ فيه: عروة بن محمد السعدي, وهو صدوق.

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده 239/1 (2136), والطيالسي في مسنده 340/1 (2608)، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات لأن ليثا صرح بالسماع من طاووس. مجمع الزوائد 70/8.

الثالث: أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب, فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة.

الرابع: أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب.

الخامس: أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام, ويمنعه من كظم الغيظ.

السادس: أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده, فكيف يقول مرادي أولى من مراد الله, ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه.

وأما العمل: فأن تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله (ρ) أن يقال عند الغيظ.

فيستحب أن تقول ذلك, فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائما, وأضجع إن كنت جالسا, وأقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك, واطلب بالجلوس والإضجاع السكون, فإن سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة, فقد قال رسول الله (ρ)"إن الغضب جمرة توقد في القلب الحديث"[1].

ولقد كان (ρ) القدوة والأسوة الحسنة للأمة كلها, فكان لا يغضب إلا لله, فكان يغضب إذا انتهكت حرمات الله.

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ** ﴾[2], وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾[3], وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري (τ)، أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ρ) فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ"[4].

قال الكرماني (~): "وَإِنَّمَا غضب رَسُول الله، (ﷺ)، لِأَنَّهُ كره التَّطْوِيل فِي الصَّلَاة من أجل أَن فيهم الْمَرِيض وَنَحْوه، فَأَرَادَ الرِّفْق والتيسير بأمته وَلم يكن نَهْيه، (ﷺ)، من التَّطْوِيل لِحُرْمَتِهِ، لِأَنَّهُ (ﷺ)، كَانَ يُصَلِّي فِي مَسْجده وَيقْرَأ

(1) ينظر: إحياء علوم الدين 173/3 بتصرف.
(2) سور الحج من الآية (30).
(3) سورة محمد أية (7).
(4) أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الْجَمَاعَةِ وَالْإِمَامَةِ، بَاب تَخْفِيفِ الْإِمَامِ فِي الْقِيَامِ وَإِتْمَامِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ, 248/1 (670), ومسلم في صحيحه بنحوه, كِتَاب الصَّلَاةِ، بَاب أَمْرِ الْأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ في تَمَامٍ,340/1 (466).

بالسور الطوَال مثل سُورَة يُوسُف، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي مَعَه أجلة أَصْحَابه، وَلِهَذَا خفف فِي بعض الْأَوْقَات، كَمَا: فِيمَا سمع صَوت بكاء الصَّبِي وَنَحْوه"[1].

وقال النووي (~): "الْحَدِيث فِيهِ الْغَضَب لِمَا يُنْكَر مِنْ أُمُور الدِّين وَالْغَضَب فِي الْمَوْعِظَة"[2].

وعنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالَ: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ (ρ) فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ (ρ) فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ، قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"[3].

فغضب رسول الله (ρ) لشفاعة أسامة حب رسول الله ظنا منه أن أي شفاعة مقبولة, وذهولا عن قوله تعالى " **مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا** "[4], ثم ضرب (ρ) أروع المثل في الإنصاف وعدم المحاباة فقال " وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" وحاشاها أن تفعل ذلك وهي سليلة بيت النبوة، وسيدة نساء العالمين.

---

(1) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني, 79/2.
(2) شرح النووي 185/4.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْأَنْبِيَاءِ، حَدِيثُ الْغَارِ، 1282/3 (3288), ومسلم في صحيحه, كِتَاب الْحُدُودِ، بَاب قَطْعِ السَّارِقِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ وَالنَّهْيِ عن الشَّفَاعَةِ في الْحُدُودِ,1315/3 (1688).
(4) سورة النساء من الآية (85).

ومن آثار الغضب القلبية الحقد والحسد

أما الحقد

فهو إضمار الشر المتوقع دائما لمن عجز عن التشفي منه بغضة له واستثقالا[1].

قال الإمام الغزالي (~): اعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا, ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى, فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية أمور:

الأول: الحسد وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه.

الثاني: أن تزيد على إضمار الحسد في الباطن, فتشمت بما أصابه من البلاء.

الثالث: أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك.

الرابع: أن تعرض عنه استصغارا له.

الخامس: أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره.

السادس: أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه.

السابع: إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه.

الثامن: أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة.

وكل ذلك حرام, وأقل درجات الحقد لو احترز عن هذه الآفات الثماني أن يترك البشاشة أو الرفق والعناية والقيام بحاجاته أو المعاونة على المنفعة له, وكله مما ينقص الدرجة في الدين ويفوت الثواب الجزيل[2].

وفي ذم الحقد يقول النبي (ρ) فيما رواه البزار في مسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ (ρ) قَالَ: " تُعْرَضُ أَعْمَالُ بَنِي آدَمَ فِي كُلِّ يَوْمِ اثْنَيْنِ وَفِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ فَيَرْحَمُ الْمُتَرَحِّمِينَ وَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ وَيَتْرُكُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِغِلِّهِمْ"[3].

وعن ابْنِ عُمَرَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): "إِنَّ النَّمِيمَةَ وَالْحِقْدَ فِي النَّارِ لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ مُسْلِمٍ"[4].

وأما الحسد

---

(1) بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق 526/1.

(2) ينظر: إحياء علوم الدين 181/3.

(3) رواه البزار في مسنده 288/4 (1460), وفيه: علي بن يزيد الألهاني، وهو ضعيف.

(4) أخرجه الطبراني في الأوسط 54/5 (4653), وقال: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ إِلا عُفَيْرُ بْنُ مَعْدَانَ، وَلا يُرْوَى عَنِ ابْنِ عُمَرَ إِلا بِهَذَا الإِسْنَادِ.وغفير ضعيف، قال الهيثمي: فيه: عُفَيْرُ بْنُ مَعْدَانَ أجمعوا على ضعفه.مجمع الزوائد 102/1.

فثمرة من ثمار الغضب والحقد, وهو تمني زوال نعمة الغير, وهو خلاف الغبطة التي هي تمني أن يكون لك مثل ما للغير من غير أن تريد زوالها عنه, وأَطلَقَ الحَسَد عَلَيها مَجازًا كما في قوله (ρ): "لَا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ عَلَّمَهُ الله الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ فَسَمِعَهُ جَارٌ له فقال لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلَانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعْمَلُ, وَرَجُلٌ آتَاهُ الله مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ في الْحَقِّ, فقال رَجُلٌ:لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلَانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعْمَلُ"[1].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب اغْتِبَاطِ صَاحِبِ الْقُرْآنِ,1919/4 (4738), ومسلم في صحيحه بنحوه, كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَاب فَضْلِ من يَقُومُ بِالْقُرْآنِ وَيُعَلِّمُهُ وَفَضْلِ من تَعَلَّمَ حِكْمَةً من فِقْهٍ أو غَيْرِهِ فَعَمِلَ بها وَعَلَّمَهَا,558/1 (815).

التحذير من الحسد:

وفي التحذير منه وبيان عاقبته يقول النبي (ρ) فيما رواه الشيخان من حديث أنس قال: قال رسول الله(ρ):" لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ"[1].

قال الإمام النووي (~): قوله: "(لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَاد اللَّه إِخْوَانًا) التَّدَابُر الْمُعَادَاة، وَقِيلَ: الْمُقَاطَعَة؛ لِأَنَّ كُلّ وَاحِد يُوَلِّي صَاحِبه دُبُره.وَالْحَسَد تَمَنِّي زَوَال النِّعْمَة، وَهُوَ حَرَام.وَمَعْنَى (كُونُوا عِبَاد اللَّه إِخْوَانًا) أَيْ تَعَامَلُوا وَتَعَاشَرُوا مُعَامَلَة الْإِخْوَة وَمُعَاشَرَتهمْ فِي الْمَوَدَّة وَالرِّفْق، وَالشَّفَقَة وَالْمُلَاطَفَة، وَالتَّعَاوُن فِي الْخَيْر، وَنَحْو ذَلِكَ، مَعَ صَفَاء الْقُلُوب، وَالنَّصِيحَة بِكُلِّ حَال.قَالَ بَعْض الْعُلَمَاء.وَفِي النَّهْي عَنْ التَّبَاغُض إِشَارَة إِلَى النَّهْي عَنْ الْأَهْوَاء الْمُضِلَّة الْمُوجِبَة لِلتَّبَاغُضِ"[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنّ النَّبِيَّ (ρ) قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، أَوْ قَالَ: الْعُشْبَ"[3].

ومعنى قوله: (إِيَّاكُمْ وَالْحَسَد): أَيْ اِحْذَرُوا الْحَسَد فِي مَال أَوْ جَاه دُنْيَوِيّ فَإِنَّهُ مَذْمُوم بِخِلَافِ الْغِبْطَة فِي الْأَمْر الْأُخْرَوِيّ، وقوله: (فَإِنَّ الْحَسَد يَأْكُل الْحَسَنَات): أَيْ يُفْنِي وَيُذْهِب طَاعَات الْحَاسِد, وقوله: (كَمَا تَأْكُل النَّار الْحَطَب): لِأَنَّ الْحَسَد يُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى اِغْتِيَاب الْمَحْسُود وَنَحْوه فَيُذْهِب حَسَنَاته فِي عِرْض ذَلِكَ الْمَحْسُود فَيَزِيد الْمَحْسُود نِعْمَة عَلَى نِعْمَة وَالْحَاسِد حَسْرَة عَلَى حَسْرَة[4].

وعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ρ) قَالَ: "الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَالصَّلَاةُ نُورُ الْمُؤْمِنِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ "[5].

قال الإمام المُناوي (~): قَالَ الْغَزَالِيُّ الْحَاسِدُ جَمَعَ لِنَفْسِهِ بَيْنَ عَذَابَيْنِ؛ لِأَنَّ حَسَدَهُ عَلَى نِعْمَةِ الدُّنْيَا وَكَانَ مُعَذَّبًا بِالْحَسَدِ وَمَا قَنَعَ بِذَلِكَ حَتَّى أَضَافَ إِلَيْهِ عَذَابًا فِي الْآخِرَةِ فَقَصَدَ مَحْسُودَهُ وَأَصَابَ نَفْسَهُ وَأَهْدَى إِلَيْهِ حَسَنَاتِهِ فَهُوَ صَدِيقُهُ وَعَدُوُّ نَفْسِهِ

(1) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب ما يُنْهَى عن التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ, 2253/5 (5718), ومسلم في صحيحه, كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب تَحْرِيمِ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّدَابُرِ,1983/4 (2559).

(2) شرح النووي 116/16.

(3) أخرجه أبو داود في سننه, كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب في الْحَسَدِ, 286/4 (4903), وإسناد ضعيف؛ فيه: جد إبراهيم بن أبي أسيد، وهو مجهول.

(4) ينظر: عون المعبود 168/13.

(5) أخرجه ابن ماجة في سننه, كِتَاب الزُّهْدِ، بَاب الْحَسَدِ، 1408/2 (4210), وإسناد ضعيف جدا؛ فيه: عيسى بن أبي عيسى, وهو متروك الحديث.

وَرُبَّمَا كَانَ حَسَدُهُ سَبَبَ انْتِشَارِ فَضْلِ مَحْسُودِهِ, فقد قيل وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب نشر العود(1).

وعن مَوْلَى الزُّبَيْرِ، أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ حَدَّثَهُ، أَنَّ النَّبِيَّ (ρ) قَالَ: " دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذلك لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ"(2).

---

(1) فيض القدير 125/3.

(2) أخرجه الترمذي في جامعه, كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ, 664/4 (2510), وقال: هَذَا حَدِيثٌ قَدِ اخْتَلَفُوا فِي رِوَايَتِهِ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، فَرَوَى بَعْضُهُمْ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ يَعِيشَ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنْ مَوْلَى الزُّبَيْرِ، عَنِ النَّبِيِّ (ρ) وَلَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ عَنِ الزُّبَيْرِ, وأحمد في مسنده, 164/1 (1412), قلت: ومولى الزبير مجهول.

ثمرة من جاهد نفسه من الحقد والحسد

وأما من جاهد نفسه, وزكاها, وطهرها من هذا الداء, فليس له جزاء إلا الجنة كما أخبر بذلك النبي (ρ), فيما رواه أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ρ) فَقَالَ: "يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ (ρ) مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ (ρ) مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ (ρ) تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ، فَعَلْتَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَنَسٌ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ (Y) وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ρ) يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ " يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ، لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ) فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ"[1].

فأفضل العمل ما كان خالصا لله قائما على سلامة الصدر وسخاء النفس, وأفضل الناس منزلة عد الله (Y) من طهر قلبه وزكى ننفسه من تلك الأمراض, فمن أهم غايات بعثته (ρ) إتمام مكارم الأخلاق, ولا يكون ذلك إلا بالتحاب والتواصل والتقارب, فإذا تحاسد الناس تقاطعوا وتخاصموا، وإذا تحابوا تقاربوا وتواصلوا وكانت الأمة كلها أمة واحدة.

مما سبق يتضح لنا أن الصبر غاية كبرى, وثمرة عُظمى, به يتألف الناس ويتحابوا, فتقام المجتمعات, وتبنى الأمم والشعوب, وبدونه تتفكك الأوصال, وتنحرف الأخلاق, وتفسد المجتمعات, فهو أساس بناء الوحدة والترابط؛ إذ به كظم الغيظ, وإعفاف النفس, وطهارة القلب, فمن روض نفسه الصبر, فقد زكاها وطهرها.

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده, 166/3 (12720)، وإسناده صحيح.

المحبة قيمتها ومنزلتها

تعريف المحبة:

الحُبُّ: نَقِيضُ البُغْضِ, والحُبّ الوِدَادُ والمَحَبَّةُ, والحِب بالكسر الحبيب, يقال أحبه فهو محب, وحبه يحبه بالكسر فهو محبوب, وتحبب إليه تودد, وامرأة محبة لزوجها ومحب أيضا, واستحبه عليه أي آثره عليه واختاره ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**﴾(1), واستحبه أحبه ومنه المستحب, وتحابوا أحب كل واحد منهم صاحبه(2).

وعرفها الإمام الغزالي (~) فقال: "الحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ, فإن تأكد ذلك الميل وقوى سمي عشقا, والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب, فإذا قوى سمى مقتا, فهذا أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته"(3).

وعرفها ابن القَيّم (~) فقال: "لا تُحَدُّ المحبةُ بحدٍّ أوضحَ منها؛ فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً، وجفاءً، فحدُّها وُجُودُها، ولا توصف المحبة بوصفٍ أظهرَ من المحبة وإنما يتكلم الناس في أسبابها، وموجباتها، وعلاماتها، وشواهدها، وثمراتها، وأحكامها؛ فحدودهم، ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات بحسب إدراك الشخص، ومقامه، وحاله، ومِلْكِهِ للعبارة"(4).

وقال ابن القيم (~): "قال صاحب المنازل (~) المحبة: تعلق القلب بالمحبوب, تعلقا مقترنا بهمة المحب وأنسه بالمحبوب في حالتي بذله ومنعه, وإفراده بذلك التعلق بحيث لا يكون لغيره فيه نصيب"(5).

وقال النَوَوي (~): قَالَ بَعْض العلماء: الْمَحَبَّة مُوَاطَأَة الْقَلْب عَلَى مَا يُرْضِي الرَّبّ سُبْحَانه؛ فَيُحِبّ مَا أَحَبَّ، وَيَكْرَه مَا كَرِهَ. وقيل: أَصْل الْمَحَبَّة الْمَيْل إِلَى مَا يُوَافِق الْمُحِبّ، ثُمَّ الْمَيْل قَدْ يَكُون لِمَا يَسْتَلِذُّهُ الْإِنْسَان، وَيَسْتَحْسِنهُ كَحُسْنِ الصُّورَة وَالصَّوْت وَالطَّعَام وَنَحْوهَا, وَقَدْ يَسْتَلِذُّهُ بِعَقْلِهِ لِلْمَعَانِي الْبَاطِنَة كَمَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَالْعُلَمَاء وَأَهْل الْفَضْل مُطْلَقًا، وَقَدْ يَكُون لِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، وَدَفْعه الْمَضَارّ وَالْمَكَارِهَ عَنْهُ(6).

---

(1) سورة فصلت من الآية (17).
(2) ينظر: مختار الصحاح 51/1، وتاج العروس 212/2.
(3) إحياء علوم الدين 296/4.
(4) مدارج السالكين 9/3.
(5) مدارج السالكين 32/3.
(6) ينظر: شرح النووي 14/2.

أَنْوَاعُ الْمَحَبَّةِ

والمحبة إما أن تكون محبة فطرية وإما أن تكون عقلية, فالمحبة الفطرية تتعلق بالعاطفة الفطرية التي خلق الله الإنسان عليها كمحبة الولد, وأما المحبة العقلية, فهي التي يُلزم العقل تعلق النفس بها, لما تجلبه لها من الخير أو دفع الضر, كمحبة الله (Y), وأعلا أنواع هذا النوع هو حب الله (Y), وحب ما يُلزمه هذا الحب.

قال ابن القَيّم (~): "والمحبة أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَهَا، وَإِنَّمَا ضَلَّ مَنْ ضَلَّ بِعَدَمِ التَّمْيِيزِ بَيْنَهَا.

أَحَدُهَا: مَحَبَّةُ اللَّهِ، وَلَا تَكْفِي وَحْدَهَا فِي النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَالْفَوْزِ بِثَوَابِهِ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَعُبَّادَ الصَّلِيبِ وَالْيَهُودَ وَغَيْرَهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ.

الثَّانِي: مَحَبَّةُ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تُدْخِلُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَتُخْرِجُهُ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَقْوَمُهُمْ بِهَذِهِ الْمَحَبَّةِ وَأَشَدُّهُمْ فِيهَا.

الثَّالِثُ: الْحُبُّ لِلَّهِ وَفِيهِ، وَهِيَ مِنْ لَوَازِمِ مَحَبَّةِ مَا يُحِبُّ، وَلَا تَسْتَقِيمُ مَحَبَّةُ مَا يُحِبُّ إِلَّا فِيهِ وَلَهُ.

الرَّابِعُ: الْمَحَبَّةُ مَعَ اللَّهِ، وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الشِّرْكِيَّةُ، وَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا مَعَ اللَّهِ لَا لِلَّهِ، وَلَا مِنْ أَجْلِهِ، وَلَا فِيهِ، فَقَدِ اتَّخَذَهُ نِدًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهَذِهِ مَحَبَّةُ الْمُشْرِكِينَ.

وَبَقِيَ قِسْمٌ خَامِسٌ لَيْسَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ: وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ، وَهِيَ مَيْلُ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا يُلَائِمُ طَبْعَهُ، كَمَحَبَّةِ الْعَطْشَانِ لِلْمَاءِ، وَالْجَائِعِ لِلطَّعَامِ، وَمَحَبَّةِ النَّوْمِ وَالزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ، فَتِلْكَ لَا تُذَمُّ إِلَّا إِذَا أَلْهَتْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَشَغَلَتْ عَنْ مَحَبَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾(1). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ **رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾(2)."(3).

والمحبة أصل كل عمل من حق وباطل, وهى أصل كمال الإيمان, كما في الحديث المتفق عليه من حديث أنس (τ) قال: قال رسول (ρ): " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"(4).

---

(1) سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ: آية (9).
(2) سُورَةُ النُّورِ: آية (37).
(3) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص189, 190.
(4) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب من الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ, 14/1 (13). ومسلم في صحيحه, كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب الدَّلِيلِ على أَنَّ من خِصَالِ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ من الْخَيْرِ, 67/1 (45).

فالْحُبُّ في اللَّهِ وَالْبُغْضُ في اللَّهِ من الْإِيمَانِ, فمَنْ أحب فلا يحب إلا لله, ومَنْ أبغض فلا يبغض إلا لله, فالمؤمن لا يكمل إيمانه إلا إذا حقق هذا الحب, مع توافر باقي أركان الإيمان الملحوظة في قوله" لِأَخِيهِ" يعني المسلم، وهذا يتطلب توافر باقي أكان الإيمان.

قال النووي (~): "وَالْمُرَاد يُحِبّ لِأَخِيهِ مِنْ الطَّاعَات وَالْأَشْيَاء الْمُبَاحَات وَيَدُلّ عَلَيْهِ مَا جَاءَ فِي رِوَايَة النَّسَائِيِّ فِي هَذَا الْحَدِيث" حَتَّى يُحِبّ لِأَخِيهِ مِنْ الْخَيْر مَا يُحِبّ لِنَفْسِهِ " قَالَ الشَّيْخ أَبُو عَمْرو بْن الصَّلَاح: وَهَذَا قَدْ يُعَدُّ مِنْ الصَّعْب الْمُمْتَنِع، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِذْ مَعْنَاهُ لَا يَكْمُل إِيمَان أَحَدكُمْ حَتَّى يُحِبّ لِأَخِيهِ فِي الْإِسْلَام مِثْل مَا يُحِبّ لِنَفْسِهِ، وَالْقِيَام بِذَلِكَ يَحْصُل بِأَنْ يُحِبّ لَهُ حُصُول مِثْل ذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ لَا يُزَاحِمهُ فِيهَا، بِحَيْثُ لَا تَنْقُص النِّعْمَة عَلَى أَخِيهِ شَيْئًا مِنْ النِّعْمَة عَلَيْهِ، وَذَلِكَ سَهْل عَلَى الْقَلْب السَّلِيم، إِنَّمَا يَعْسُرُ عَلَى الْقَلْب الدَّغِل.عَافَانَا اللَّه وَإِخْوَانَنَا أَجْمَعِينَ."[1].

وقَالَ الكرمانيّ (~): ومِن الإيمان أيضًا أَن يَبغَض لأَخِيهِ ما يَبغَض لِنَفسِهِ مِنَ الشَّرّ، ولَم يَذكُرهُ لأَنَّ حُبّ الشَّيء مُستَلزِم لِبُغضِ نَقِيضه، فَتَرَكَ التَّنصِيص عَلَيهِ اكتِفاء[2].

وكل محبة وإرادة لا يكون أصلها محبة الله وإرادة وجهه فهي باطلة فاسدة, قال تعالي: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾[3].

قال الشوكاني (~): لما فرغ سبحانه من الدليل على وحدانيته, أخبر أن مع هذا الدليل الظاهر المفيد لعظيم سلطانه وجليل قدرته وتفرده بالخلق, وجد في الناس من يتخذ معه سبحانه ندا يعبده من الأصنام، مع أن هؤلاء الكفار لم يقتصروا على مجرد عبادة الأنداد بل أحبوها حبا عظيما وأفرطوا في ذلك إفراطا بالغا حتى صار حبهم لهذه الأوثان ونحوها متمكنا في صدورهم كتمكن حب المؤمنين لله سبحانه, ويجوز أن يكون المراد كحبهم لله أي عبدة الأوثان, ويجوز أن يكون هذا المصدر من المبني للمجهول أي كما يحب الله والأول أولى لقوله ﴿ **وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ فإنه استدراك لما يفيده التشبيه من التساوي أي أن حب المؤمنين لله أشد من حب الكفار للأنداد لأن المؤمنين يخصون الله سبحانه بالعبادة والدعاء والكفار لا يخصون أصنامهم بذلك بل يشركون الله معهم ويعترفون بأنهم إنما يعبدون أصنامهم ليقربوهم إلى الله[4].

---

(1) شرح النووي 16/2.
(2) ينظر: الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري 95/1.
(3) سورة البقرة الآية (165).
(4) ينظر: فتح القدير 165/1.

قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[1].

وأصل الأعمال الدينية حب الله وحب رسوله, وهما أصل كمال الإيمان, روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ρ): "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"[2].

قال النووي: قَالَ ابْن بَطَّال[3]، وَالْقَاضِي عِيَاض، وَغَيْرهمَا -رَحْمَة اللَّه عَلَيْهِمْ-: الْمَحَبَّة ثَلَاثَة أَقْسَام مَحَبَّة إِجْلَال وَإِعْظَام كَمَحَبَّةِ الْوَالِد، وَمَحَبَّة شَفَقَة وَرَحْمَة كَمَحَبَّةِ الْوَلَد، وَمَحَبَّة مُشَاكَلَة وَاسْتِحْسَانٍ كَمَحَبَّةِ سَائِر النَّاس, فَجَمَعَ (ρ) أَصْنَاف الْمَحَبَّة فِي مَحَبَّته. قَالَ ابْن بَطَّال[4] (~): وَمَعْنَى الْحَدِيث: أَنَّ مَنْ اِسْتَكْمَلَ الْإِيمَان عَلِمَ أَنَّ حَقّ النَّبِيّ (ρ) آكَدُ عَلَيْهِ مِنْ حَقّ أَبِيهِ وَابْنه وَالنَّاس أَجْمَعِينَ؛ لِأَنَّ بِهِ (ρ) اُسْتُنْقِذْنَا مِنْ النَّار، وَهُدِينَا مِنْ الضَّلَال.قَالَ الْقَاضِي عِيَاض (~): وَمِنْ مَحَبَّته (ρ) نُصْرَة سُنَّته، وَالذَّبّ عَنْ شَرِيعَته، وَتَمَنِّي حُضُور حَيَاته؛ فَيَبْذُل مَاله وَنَفْسه دُونه. قَالَ: وَإِذَا تَبَيَّنَ مَا ذَكَرْنَاهُ تَبَيَّنَ أَنَّ حَقِيقَة الْإِيمَان لَا يَتِمّ إِلَّا بِذَلِكَ، وَلَا يَصِحّ الْإِيمَان إِلَّا بِتَحْقِيقِ إِعْلَاء قَدْر النَّبِيّ (ρ) وَمَنْزِلَته عَلَى كُلّ وَالِد، وَوَلَد، وَمُحْسِن، وَمُفَضَّل. وَمَنْ لَمْ يَعْتَقِد هَذَا، وَاعْتَقَدَ سِوَاهُ، فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ[5].

قال ابن تيمية (~): "وَالْمَحَبَّةُ الْمَحْمُودَةُ: هِيَ الْمَحَبَّةُ النَّافِعَةُ وهي الَّتِي تَجْلِبُ لِصَاحِبِهَا مَا يَنْفَعُهُ وهو السَّعَادَةِ، وَالضَّارَّةُ: هِيَ الَّتِي تَجْلِبُ لِصَاحِبِهَا مَا يَضُرُّهُ، وهو الشقاء. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَيَّ العالم لَا يَخْتَارُ أن يحب مَا يَضُرُّهُ، لكن يكون ذَلِكَ عَنْ جَهْلٍ وَظُلْمٍ، فَإِنَّ النَّفْسَ قَدْ تَهْوَى مَا يَضُرُّهَا وَلَا يَنْفَعُهَا، وَذَلِكَ ظُلْم منها لها، وقد تَكُون جَاهِلَةً بِحَالِها به بِأَنْ تَهْوَى الشَّيْءَ وَتُحِبَّهُ بلا علم منها بِمَا فِي مَحَبَّتِهِ مِنَ المنفعة وَالْمَضَرَّةِ، وتتبع هواها, وَهَذَا حَالُ مَنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وقد يكون عن

---

(1) سورة القصص الآية رقم (50).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب حُبُّ الرَّسُولِ (ρ) من الْإِيمَانِ، 14/1 (15), ومسلم في صحيحه, كِتَاب الْإِيمَانِ, بَاب وُجُوبِ مَحَبَّةِ رسول اللَّهِ (ρ) أَكْثَرَ من الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ وَإِطْلَاقِ عَدَمِ الْإِيمَانِ على من لم يُحِبَّهُ هذه المحبه, 67/1(44).

(3) شرح صحيح البخارى لابن بطال 66/1 .

(4) المصدر الساق.

(5) شرح النووي 15/2, 16.

اعتقاد فاسد وهو حال من اتبع الظن وما تهوي نفسه وكل ذلك من أمور الجاهلية"[1].

بيان فضل المحبة, والحث عليها.

وفي فضلها والحث عليها يقول الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[2].

قال الطبري (~): اختلف أهل التأويل في السبب الذي أنزلت هذه الآية فيه فقال بعضهم: أنزلت في قوم قالوا على عهد النبي (ρ) إنا نحب ربنا فأمر الله (Y) نبيه محمدا (ρ) أن يقول لهم إن كنتم صادقين فيما تقولون فاتبعوني فإن ذلك علامة صدقكم فيما قلتم من ذلك, وقيل غير ذلك[3].

فإتباع الرسول (ρ) من أعظم ما أوجبه الله تعالي علي عباده، فمن كان صادقا في دعوى محبة الله اتبع رسوله.

ومن السنة النبوية

قوله (ρ) في الحديث المتفق عليه, عن أنس بن مالك (τ) عَنِ النَّبِيِّ (ρ) قَالَ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ"[4].

قال النووي: قَالَ الْعُلَمَاء (رحمهم الله): مَعْنَى حَلَاوَة الْإِيمَان اِسْتِلْذَاذ الطَّاعَات وَتَحَمُّلِ الْمَشَقَّات فِي رِضَا اللَّه (Y) وَرَسُوله (ρ) وَإِيثَار ذَلِكَ عَلَى عَرَضِ الدُّنْيَا، وَمَحَبَّة الْعَبْد رَبّه (تعالى) بِفِعْلِ طَاعَته، وَتَرْكِ مُخَالَفَته، وَكَذَلِكَ مَحَبَّة رَسُول اللَّه (ρ)[5].

وقال ابن حجر: وفِي قوله: (حَلاوة الإِيمان) استِعارَة تَخيِيلِيَّةٌ، شَبَّهَ رَغبَة المُؤمِن فِي الإِيمان بِشَيءٍ حُلو وأَثبَتَ لَهُ لازِم ذَلِكَ الشَّيء وأَضافَهُ إِلَيهِ، وفِيهِ تَلمِيح إِلَى قِصَّة المَرِيض والصَّحِيح؛ لأَنَّ المَرِيض الصَّفراوِيّ يَجِد طَعم العَسَل مُرًّا والصَّحِيح يَذُوق حَلاوته عَلَى ما هِيَ عَلَيهِ، وكُلَّما نَقَصَت الصِّحَّة شَيئًا ما نَقَصَ

---

(1) قاعدة في المحبة 16/1.
(2) سورة آل عمران آية (31).
(3) ينظر: تفسير الطبري 232/3.
(4) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ,14/1 (16), ومسلم في صحيحه, كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب بَيَانِ خِصَالٍ من اتَّصَفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ, 66/1 (43).
(5) شرح النووي 13/2.

ذَوقه بِقَدرِ ذَلِكَ، فَكانَت هَذِهِ الاستِعارَة مِن أَوضَح ما يُقَوِّي استِدلال المُصَنِّف عَلَى الزِّيادَة والنَّقص.

وقوله: (أَحَبّ إِلَيهِ)، قالَ البَيضاوِيّ: المُراد بِالحُبِّ هُنا الحُبّ العَقلِيّ الَّذِي هُو إِيثار ما يَقتَضِي العَقل السَّلِيم رُجحانه وإِن كانَ عَلَى خِلاف هَوى النَّفس، كالمَرِيضِ يَعاف الدَّواء بِطَبعِهِ فَيَنفِر عَنهُ، ويَمِيل إِلَيهِ بِمُقتَضَى عَقله فَيَهوى تَناوُله، فَإِذا تَأَمَّلَ المَرء أَنَّ الشّارِع لا يَأمُر ولا يَنهَى إِلاَّ بِما فِيهِ صَلاح عاجِل أَو خَلاص آجِل، والعَقل يَقتَضِي رُجحان جانِب ذَلِكَ، تَمَرَّنَ عَلَى الائتِمار بِأَمرِهِ بِحَيثُ يَصِير هَواهُ تَبَعًا لَهُ، ويَلتَذّ بِذَلِكَ التِذاذًا عَقلِيًّا، إِذ الالتِذاذ العَقلِيّ إِدراك ما هُو كَمال وخَير مِن حَيثُ هُو كَذَلِكَ.وعَبَّرَ الشّارِع عَن هَذِهِ الحالَة بِالحَلاوةِ لأَنَّها أَظهَر اللَّذائِذ المَحسُوسَة.قالَ: وإِنَّما جَعَلَ هَذِهِ الأُمُور الثَّلاثَة عُنوانًا لِكَمالِ الإِيمان لأَنَّ المَرء إِذا تَأَمَّلَ أَنَّ المُنعِم بِالذّاتِ هُو الله تَعالَى، وأَن لا مانِح ولا مانِع فِي الحَقِيقَة سِواهُ، وأَنَّ ما عَداهُ وسائِط، وأَنَّ الرَّسُول هُو الَّذِي يُبَيِّن لَهُ مُراد رَبّه، اقتَضَى ذَلِكَ أَن يَتَوَجَّه بِكُلِّيَّتِهِ نَحوه: فَلا يُحِبّ إِلاَّ ما يُحِبّ، ولا يُحِبّ مَن يُحِبّ إِلاَّ مِن أَجله[1].

وفي صحيح البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (ρ) وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ (ρ): "لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ "، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ (ρ): "الْآنَ يَا عُمَرُ"[2].

الحب المراد هو حُبّ الِاخْتِيَار, لا حب الطَّبْع؛ لِأَنَّ حُبَّ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ طَبْعٌ وَلَا سَبِيلَ إِلَى قَلْبِهِ, فَمَعْنَاهُ لَا تَصْدُقُ فِي حُبِّي حَتَّى تُفْنِيَ فِي طَاعَتِي نَفْسَك وَتُؤْثِرَ رِضَايَ عَلَى هَوَاك، وَإِنْ كَانَ فِيهِ هَلَاكُك, وقال الخطابي: حب الإنسان نفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب, وإنما أراد (عليه السلام) حب الاختيار إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه, قال ابن حجر: قلت فعلى هذا فجواب عمر أولا كان بحسب الطبع ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي (ρ) أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والأخرى فأخبر بما اقتضاه الاختيار, ولذلك حصل الجواب بقوله الآن يا عمر أي الآن عرفت فنطقت بما يجب, وأما تقرير بعض الشراح الآن صار إيمانك معتدا به إذ المرء لا يعتد بإيمانه حتى يقتضي عقله ترجيح جانب الرسول ففيه سوء أدب في العبارة, وما أكثر ما

---

(1) ينظر: فتح الباري 60/1.
(2) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، بَاب كَيْفَ كانت يَمِينُ النبي (ρ), 2445/6 (6257).

يقع مثل هذا في كلام الكبار عند عدم التأمل والتحرز لاستغراق الفكر في المعنى الأصلي[1].

وفي الحث على التحاب في الله أيضا:

يقول النبي (ρ) "إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ"[2].

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ اسْتَمَالَ قَلْبَهُ وَاجْتَلَبَ وُدَّهُ فَبِالضَّرُورَةِ يُحِبُّهُ فَيَحْصُلُ الِائْتِلَافُ وَيَزُولُ الِاخْتِلَافُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ [3].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، "أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ (ρ) فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ (ρ): أَعْلَمْتَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَعْلِمْهُ، قال: فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ"[4].

ولما كان الحب ضرورة لكمال الإيمان دعا النبي (ρ) ربه أن يرزقه حبه, كما في الحديث الذي رواه الترمذي في جامعه أن رَسُول اللَّهِ (ρ) كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: "اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ لِي فَرَاغًا فِيمَا تُحِبُّ "[5].

قال المباركفوري: قَوْلُهُ: (اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّك) أَيْ لِأَنَّهُ لَا سَعَادَةَ لِلْقَلْبِ وَلَا لَذَّةَ وَلَا نَعِيمَ وَلَا صَلَاحَ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُ، وقوله: (اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ) أَيْ الَّذِي أَعْطَيْتنِي مِنْ الْأَشْيَاءِ الَّتِي أُحِبُّهَا مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ وَقُوَّتِهِ وَأَمْتِعَةِ الدُّنْيَا مِنْ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْأَوْلَادِ وَالْفَرَاغِ, وقوله: (فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي) أَيْ عُدَّةً لِي,

---

(1) ينظر: فتح الباري 528/11.

(2) أخرجه أبو داود في سننه, كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب إِخْبَارِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ بِمَحَبَّتِهِ إليه, 332/4 (5124).وأحمد في مسنده,130/4 (17210), قلت: وإسناده صحيح.

(3) ينظر: عون المعبود 20/14, تحفة الأحوزي 60/7 بتصرف.

(4) أخرجه أبو داود في سننه, كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب إِخْبَارِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ بِمَحَبَّتِهِ إليه،333/4 (5125). قلت: إسناده حسن،فيه: مبارك بن فضالة القرشي, مختلف فيه، وحسن حديثه، وشرط بعضهم تصريحه بالتحدث, وقد صرح هنا, ينظر ترجمته: معرفة الثقات 263/2, الجرح والتعديل 338/8, الكامل في ضعفاء الرجال 320/6, الكاشف 238/2, تهذيب التهذيب 28/10, تقريب التهذيب 519/1.

(5) أخرجه الترمذي في جامعه, كِتَاب الدَّعَوَاتِ عن رسول اللَّهِ (ρ)، 523/5 (3491), وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، قلت: فيه سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعِ بْنِ الْجَرَّاحِ بْنِ مَلِيحٍ الرُّؤَاسِي, وهو ضعيف, ينظر ترجمته: المجروحين 359/1, الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي 4/2, ميزان الاعتدال 249/3, الكاشف 449/1, تهذيب التهذيب 109/4, تقريب التهذيب 245/1.

وقوله: (فِيمَا تُحِبُّ) أَيْ بِأَنْ أَصْرِفَهُ فِيمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ مِنْ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ, وقوله: (اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْت عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ) مِنْ الزَّيِّ بِمَعْنَى الْقَبْضِ وَالْجَمْعِ, أَيْ وَمَا قَبَضْتَه وَنَحَّيْته, بِأَنْ مَنَعْتنِي وَلَمْ تُعْطِنِي مِمَّا أَشْتَهِيهِ مِنْ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْأَوْلَادِ أَمْثَالُ ذَلِكَ, وقوله: (فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي) أَيْ سَبَبَ فَرَاغِ خَاطِرِي, وقوله: (فِيمَا تُحِبُّ) أَيْ مِنْ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ وَالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَة [(1)].

فحب الله أعظم اللذات, ولا ينال إلا بالطاعات, وبه الفوز بأعظم الدرجات, وتمحى الأوزار والسيئات.

ما تستلزمه محبة الله تعالى.

ومحبة الله تعالى توجب المجاهدة في سبيله, وهي أعلا أنواع المحبة, وكمال الإيمان يقتضي المحبة, والمحبة تقتضي الطاعة للمحب, فإن من أحب الله, وأحبه الله, أحب ما يحبه الله, وأبغض ما يبغضه الله, ووالي من يواليه الله, وعادي من يعاديه الله, فإن المحبة توجب الدنو من المحبوب والبعد عن مكروهاته، وإتباع النبي (ρ) من أعظم ما أوجبه الله تعالي علي عباده وأحبه، فمن كان صادقا في دعوى محبة الله اتبع نبيه (ρ), وكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[(2)]

وروى البخاري في صحيحه, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ) إِنَّ اللَّهَ قَالَ: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ "[(3)].

وَالْمُرَادُ بِوَلِيِّ اللَّهِ الْعَالِمُ بِاللَّهِ الْمُوَاظِبُ عَلَى طَاعَتِهِ الْمُخْلِصُ فِي عِبَادَتِهِ، فَقَدْ آذَنْتُهُ, أَيْ أَعْلَمْتُهُ فَأَعْمَلُ بِهِ مَا يَعْمَلُهُ الْعَدُوُّ الْمُحَارِبُ, قيل: وَفِي هَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ لِأَنَّ مَنْ حَارَبَهُ اللَّهُ أَهْلَكَهُ وَهُوَ مِنَ الْمَجَازِ الْبَلِيغِ؛ لِأَنَّ مَنْ كَرِهَ مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ خَالَفَ اللَّهَ وَمَنْ خَالَفَ اللَّهَ عَانَدَهُ وَمَنْ عَانَدَهُ أَهْلَكَهُ وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فِي جَانِبِ الْمُعَادَاةِ ثَبَتَ فِي جَانِبِ الْمُوَالَاةِ فَمَنْ وَالَى أَوْلِيَاءَ اللَّهِ أَكْرَمَهُ اللَّهُ[(4)].

---

(1) ينظر: تحفة الأحوزي 325/9.
(2) سورة آل عمران آية (31).
(3) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الرِّقَاقِ, بَاب التَّوَاضُعِ،2384/5 (6137).
(4) ينظر: فتح الباري 11/ 343- 345.

فهذا الحديث أثره عظيم في نفس المؤمنين, فهو أصل في السلوك إلى الله, والوصول إلى معرفته ومحبته.

علامات حب الله تعالى للعبد.

بين النبي (ρ) علامات حب الله تعالى للعبد, كما في الحديث المتفق عليه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ (τ)، عَنِ النَّبِيِّ (ρ) قَالَ: " إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ"(1).

فمن أحبه الناس ورضوا عنه, ومالوا إليه, فقد أحبه الله (Y) ورضي عنه, ومن أبغضه الناس, فقد أبغضه الله (Y).

قال ابن حجر: والمُراد بِالقَبُولِ فِي الحديث قَبُول القُلُوب لَهُ بِالمَحَبَّةِ والمَيل إِلَيهِ والرِّضا عَنهُ، ويُؤخَذ مِنهُ أَنَّ مَحَبَّة قُلُوب النّاس عَلامَة مَحَبَّة الله، والمُراد بِمَحَبَّةِ الله إِرادَة الخَير لِلعَبدِ وحُصُول الثَّواب لَهُ، وبِمَحَبَّةِ المَلائِكَة استِغفارهم لَهُ وإِرادَتهم خَير الدّارَينِ لَهُ ومَيل قُلُوبهم إِلَيهِ لِكَونِهِ مُطِيعًا لِلَّهِ مُحِبًّا لَهُ، ومَحَبَّة العِباد لَهُ اعتِقادهم فِيهِ الخَير وإِرادَتهم دَفع الشَّرّ عَنهُ ما أَمكَنَ، والحُبّ عَلَى ثَلاثَة أَقسام: إِلَهِيّ ورُوحانِيّ وطَبِيعِيّ، وحَدِيث الباب يَشتَمِل عَلَى هَذِهِ الأَقسام الثَّلاثَة، فَحُبّ الله العَبد حُبّ إِلَهِيّ، وحُبّ جِبرِيل والمَلائِكَة لَهُ حُبّ رُوحانِيّ، وحُبّ العِباد لَهُ حُبّ طَبِيعِيّ(2).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (τ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): "أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَى اللَّهِ؟"، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَظَنَنَّا أَنَّهُ يُسَمِّي رَجُلًا، فَقَالَ: " إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ أَحَبُّكُمْ إِلَى النَّاسِ" ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): "أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْغَضِكُمْ إِلَى اللَّهِ؟ " قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَظَنَنَّا أَنَّهُ يُسَمِّي رَجُلا، فَقَالَ: " إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ أَبْغَضُكُمْ إِلَى النَّاسِ"(3).

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب بَدْءِ الْخَلْقِ، بَاب ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ، 1175/3 (3037). ومسلم في صحيحه, كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب إذا أَحَبَّ الله عَبْدًا حَبَّبَهُ إلى عِبَادِهِ,2030/4 (2637), وزاد فيه وإذا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فيقول إني أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ قال فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي في أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ قال فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ له الْبَغْضَاءُ في الأرض.

(2) ينظر: فتح الباري 462/10.

(3) أخرجه الطبراني في الأوسط, 136/6 (6019). وقال الهيثمي: وفيه عبد الرحمن بن حيدة الأنباري ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد 272/10.

ثمرة الحب في الله

ولما كان للمحبة هذا الفضل وتلك المنزلة, فقد أجزل الله (Y) عليها الثواب العظيم في الآخرة. كما في الحديث المتفق عليه, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ (ρ) قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"(1).

قال النووي: قوله: (وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّه اِجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ) مَعْنَاهُ: اِجْتَمَعَا عَلَى حُبّ اللَّه وَافْتَرَقَا عَلَى حُبّ اللَّه، أَيْ كَانَ سَبَبُ اِجْتِمَاعهمَا حُبَّ اللَّه، وَاسْتَمَرَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَفَرَّقَا مِنْ مَجْلِسهمَا وَهُمَا صَادِقَانِ فِي حُبّ كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا صَاحِبه لِلَّهِ تَعَالَى حَالَ اِجْتِمَاعهمَا وَافْتِرَاقهمَا(2).

ومعنى كونهم في ظل الله تعالى يوم القيامة, أي في كنفه وعنايته, وفيه إشارة إلى أنهم في الجنة تحت ظل عرشه, وإضافة الظل إلى الله تعالى إضافة ملك، لأن الله (Y) مالك كل شئ.

وما رواه مسلم في صحيحه, عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ (ρ): "إِنَّ اللَّهَ يقول يوم الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يوم لَا ظِلَّ إلا ظِلِّي"(3).

وعن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ (ρ) لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حتى تُؤْمِنُوا ولا تُؤْمِنُوا حتى تَحَابُّوا أَوَلَا أَدُلُّكُمْ على شَيْءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ(4).

وعن أبي هريرة أيضا, عن النبي (ρ) أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا له في قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ الله له على مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فلما أتى عليه قال أَيْنَ تُرِيدُ قال أُرِيدُ أَخًا لي في

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الْجَمَاعَةِ وَالْإِمَامَةِ, باب من جَلَسَ في الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضْلِ الْمَسَاجِدِ، 234/1 (629). ومسلم في صحيحه, كِتَاب الزَّكَاةِ، بَاب فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ, 715/2 (1031). والترمذي في جامعه, كِتَاب الزُّهْدِ، بَاب ما جاء في الْحُبِّ في اللَّهِ، 598/4 (2391).

(2) شرح النووي 121/7.

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه, كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب في فَضْلِ الْحُبِّ في اللَّهِ, 1988/4 (2566).

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه, كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب بَيَانِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلا الْمُؤْمِنُونَ وَأَنَّ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ من الْإِيمَانِ وَأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ سبب لِحُصُولِهَا, 74/1 (54).

هذه الْقَرْيَةِ قال هل لك عليه من نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قال لَا غير أنى أَحْبَبْتُهُ في اللَّهِ (Y) قال فَإِنِّي رسول اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قد أَحَبَّكَ كما أَحْبَبْتَهُ فيه[1].

هذا الحديث يبين لنا أن رجلا مسلما زار أخاً له في قرية أخرى، وسافر إليه، فأقعد الله على طريقه ملكاً ينتظره في هذا الطريق، فلما أتى هذا الرجل على الملك، قال الملك: أين تريد؟ فقال: أريد أخاً لي في هذه القرية، فقال الملك لهذا الرجل: هل لك عليه من نعمة تذهب لها وتسعى من أجلها، من مال أو مصلحة, فقال: لا، غير أني أحبه في الله، قال له الملك فإني رسول الله إليك أن الله قد أحبك كما أحببته فيه.

فدلت تلك الأحاديث على أن أجر التحاب في الله عظيم؛ لأن المكافئ عليه هو الله (Y), وما أعظم عطاءه وكرمه, وفيه حث المسلمين على التحاب في الله ولله من غير مقابل لهذا الحب من أحد إلا الله.

مما سبق يتضح لنا أن قيمة المحبة عظيمة, إذ بها قوام الأمة بأثرها, ولا يكمل إيمان العبد إلا بها, وبها يسود الود والترابط بين أفراد المجتمع بل وأفراد الأمة جمعاء, لذا حث عليها الإسلام, وأجزل الثواب عليها.

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه, كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب في فَضْلِ الْحُبِّ في اللَّهِ, 1988/4 (2567).

الخشية قيمتها ومنزلتها

معنى الخشية

قال ابن منظور: "الخشية: الخوف. يقال خشي الرّجل يخشى خشية أي خاف"[1].

وخشِي – بالكسر- خشية أي خاف فهو خشيان والمرأة خشيا وهذا المكان أخشى من ذاك أي أشد إخافة, وتأتي بمعنى علم كما في قول الشاعر:

ولقد خَشِيْتُ بأَنَّ مَنْ تَبِعَ الهُدى سَكَنَ الجنانَ مع النبيِّ مُحَمَّدِ

قالوا: معناه علمت, وتأتي أيضا بمعنى كره, كما في قوله تعالى:﴿ **فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا**﴾ [2] قال الأخفش: معناه كرهنا[3].

وقال الراغب[4]: "الخشية خوفٌ يشوبه تَعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علمٍ مما يخشى منه ولذلك خص العلماء بها في قوله: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[5].

وقال الجُرجَانيّ: "الخشية تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل, يكون تارة بكثرة الجناية من العبد, وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته وخشية الأنبياء من هذا القبيل"[6].

(1) لسان العرب مادة (خشى) 14/ 228.
(2) سورة الكهف من الآية (80).
(3) ينظر:مختار الصحاح 74/1 بتصرف يسير.
(4) المفردات في غريب القرآن للراغب 149/1.
(5) سورة فاطر من الآية (28).
(6) التعريفات 133/1.

الفرق بين الوجل والخوف والخشية والرهبة والهيبة:

قال ابن القَيِّم: وَ ((الْوَجَلُ)) وَ ((الْخَوْفُ)) وَ ((الْخَشْيَةُ)) وَ ((الرَّهْبَةُ)) أَلْفَاظٌ مُتَقَارِبَةٌ غَيْرُ مُتَرَادِفَةٍ، فَقِيلَ: **الْخَوْفُ** اضْطِرَابُ الْقَلْبِ وَحَرَكَتُهُ مِنْ تَذَكُّرِ الْمَخُوفِ. وَقِيلَ: الْخَوْفُ هَرَبُ الْقَلْبِ مِنْ حُلُولِ الْمَكْرُوهِ عِنْدَ اسْتِشْعَارِهِ.

وَالْخَشْيَةُ أَخَصُّ مِنَ الْخَوْفِ، فَإِنَّ الْخَشْيَةَ لِلْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ فَهِيَ خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِمَعْرِفَةٍ، وَقَالَ النَّبِيُّ (ρ) «إِنِّي أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً».

وَأَمَّا الرَّهْبَةُ: فَهِيَ الْإِمْعَانُ فِي الْهَرَبِ مِنَ الْمَكْرُوهِ، وَهِيَ ضِدُّ الرَّغْبَةِ الَّتِي هِيَ سَفَرُ الْقَلْبِ فِي طَلَبِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ.

وَأَمَّا الْوَجَلُ: فَرَجَفَانُ الْقَلْبِ، وَانْصِدَاعُهُ لِذِكْرِ مَنْ يُخَافُ سُلْطَانُهُ وَعُقُوبَتُهُ، أَوْ لِرُؤْيَتِهِ.

وَأَمَّا الْهَيْبَةُ: فَخَوْفٌ مُقَارِنٌ لِلتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ مَعَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ. وَالْإِجْلَالُ: تَعْظِيمٌ مَقْرُونٌ بِالْحُبِّ.

فَالْخَوْفُ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْخَشْيَةُ لِلْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ، وَالْهَيْبَةُ لِلْمُحِبِّينَ، وَالْإِجْلَالُ لِلْمُقَرَّبِينَ، وَعَلَى قَدْرِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ يَكُونُ الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ[1].

منزلة الخشية من الله تعالى

ولأهمية هذا الخلق العظيم أمر الله تعالى به عباده فقال جل شأنه: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾[2].

قال ابن كثير (~) "يقول تعالى منذرا للناس يوم المعاد, وآمر لهم بتقواه والخوف منه والخشية من يوم القيامة حيث ﴿ **لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ** ﴾ أي لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه, وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه, ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله ﴿ **فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا** ﴾ أي لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة ﴿ **وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾ يعني الشيطان"[3].

وأمتدح الله تعالى المتصفين بهذا الخق العظيم وجعلهم من المتقين فقال تعالى:

﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ(48) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (49)** ﴾[4].

---

(1) ينظر: مدارج السالكين 512/1, 513 بتصرف.
(2) سورة لقمان آية (33).
(3) تفسير ابن كثير 454/3.
(4) سورة الأنبياء الآيتان 48،49.

قال الشوكاني: المراد بالفرقان هنا التوراة؛ لأن فيها الفرق بين الحلال والحرام, وقيل: الفرقان هنا هو النصر على الأعداء، ومعنى وضياء أنهم استضاءوا بها فى ظلمات الجهل والغواية, ومعنى وذكرا: أى أنهم يتعظون بما فيها, وخص المتقين لأنهم الذين ينتفعون بذلك, ووصفهم بقوله ﴿ **الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ** ﴾ لأن هذه الخشية تلازم التقوى ويجوز أن يكون الموصول بدلا من المتقين أو بيانا له, ومحل بالغيب النصب على الحال أى يخشون عذابه وهو غائب عنهم أو هم غائبون عنه لأنهم فى الدنيا والعذاب فى الآخرة, ﴿ **وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ** ﴾ أى وهم من القيامة خائفون وجلون[1].

وقال تعالى: ﴿ **فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (9) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (10)**﴾[2].

قال الشوكاني: أي عظ يا محمد الناس بما أوحينا إليك, وأرشدهم إلى سبل الخير واهدهم إلى شرائع الدين, قال الحسن: تذكرة للمؤمن وحجة على الكافر, وقال الواحدي: إن نفعت أو لم تنفع؛ لأن النبي (ρ) بعث مبلغا للأعذار والإنذار فعليه التذكير في كل حال نفع أو لم ينفع, وسيتعظ بوعظك من يخشى الله فيزداد بالتذكير خشية وصلاحا[3].

وكان النبي (ρ) أشد الناس خشية لله تعالى وبين أن التقوى والخشية تكون بالإتباع لا بالابتداع, كما في الحديث المتفق عليه من حديث أنس بن مالك (τ) قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (ρ) يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ (ρ) فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ (ρ) قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا، فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ) إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: " أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[4].

قال ابن حجر (~): "قوله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له فيه إشارة إلى رد ما بنوا عليه أمرهم من أن المغفور له لا يحتاج إلى مزيد في العبادة بخلاف غيره, فأعلمهم أنه مع كونه يبالغ في التشديد في العبادة أخشى لله واتقى من الذين يشددون, وإنما كان كذلك لأن المشدد لا يأمن من الملل بخلاف المقتصد فإنه أمكن

(1) ينظر فتح القدير 411/3.
(2) سورة الأعلى الآيتان 9, 10.
(3) ينظر:فتح القدير 425/5.
(4) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب النِّكَاحِ, بَاب التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ, 1949/5 (4776).ومسلم في صحيحه بنحوه, كِتَاب النِّكَاحِ, بَاب اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إليه وَوَجَدَ مُؤَنَهُ وَاشْتِغَالِ من عَجَزَ عن الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ (1401).

لاستمراره, وخير العمل ما داوم عليه صاحبه... وقوله فمن رغب عن سنتي فليس مني المراد بالسنة الطريقة لا التي تقابل الفرض, والرغبة عن الشيء الأعراض عنه إلى غيره, والمراد من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني, ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه, وطريقة النبي (ρ) الحنيفية السمحة فيفطر ليتقوى على الصوم, وينام ليتقوى على القيام, ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل, وقوله فليس مني, إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه فمعنى فليس مني أي على طريقتي, ولا يلزم أن يخرج عن الملة, وإن كان إعراضا تنطعا يفضي إلى اعتقاد ارجحية عمله, فمعنى فليس مني ليس على ملتي؛ لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر"[1].

وعن عبد الله بن مسعود (τ) قال: "إِنَّ المُؤْمِنَ يَرى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِه، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا "[2].

قال المباركفوري: "قَالَ اِبْنُ أَبِي جَمْرَةَ: السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ مُنَوَّرٌ، فَإِذَا رَأَى مِنْ نَفْسِهِ مَا يُخَالِفُ مَا يُنَوَّرُ بِهِ قَلْبُهُ عَظُمَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ، وَالْحِكْمَةُ فِي التَّمْثِيلِ بِالْجَبَلِ أَنَّ غَيْرَهُ مِنْ الْمُهْلِكَاتِ قَدْ يَحْصُلُ التَّسَبُّبُ إِلَى النَّجَاةِ مِنْهُ بِخِلَافِ الْجَبَلِ إِذَا سَقَطَ عَلَى الشَّخْصِ لَا يَنْجُو مِنْهُ عَادَةً، وَحَاصِلُهُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْخَوْفُ لِقُوَّةِ مَا عِنْدَهُ مِنْ الْإِيمَانِ، فَلَا يَأْمَنُ الْعُقُوبَةَ بِسَبَبِهَا، وَهَذَا شَأْنُ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ دَائِمُ الْخَوْفِ وَالْمُرَاقَبَةِ يَسْتَصْغِرُ عَمَلَهُ الصَّالِحَ وَيَخْشَى مِنْ صَغِيرِ عَمَلِهِ السَّيِّئِ"[3].

ثواب الخشية من الله (Y)

وأما عن ثواب الخشية من الله (Y), فقد بين سبحانه أن من يطع الله ورسوله ويخش الله فيما مضى من عمره, ويتقه فيما بقي فأولئك لهم المغفرة والأجر الكريم من الله تعالى, وهم الفائزون بالجنة الناجون من النار, قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾[4].

وقال: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾[5].

---

(1) فتح الباري 105/9, 106.
(2) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الدَّعَوَاتِ، بَاب التَّوْبَةِ,2324/5 (5949), والترمذي في جامعه, كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، 658/4 (2497).
(3) تحفة الأحوزي 169/7.
(4) سورة النور الآية (52).
(5) سورة الملك آية (12).

وقـال: ﴿ **إِنَّ الَّـذِينَ آَمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ أُولَئِـكَ هُـمْ خَيْـرُ الْبَرِيَّـةِ (7) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (8)** ﴾[1].

وقال تعالى:﴿ **إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ** ﴾[2].

وأكد النبي (ρ) **على ذلك كثيرا**، كما في الحديث الذي رواه الترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ρ) يَقُولُ: "عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ

---

(1) سورة البينة الآيتان 7, 8.
(2) سورة يس آية (11).

بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[1].

قال المباركفوري: "قَوْلُهُ (عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ) أَيْ لَا تَمَسُّ صَاحِبَهُمَا فَعَبَّرَ بِالْجُزْءِ عَنِ الْجُمْلَةِ وَعَبَّرَ بِالْمَسِّ إِشَارَةً إِلَى امْتِنَاعِ مَا فَوْقَهُ بِالْأَوْلَى وَفِي رِوَايَةٍ أَبَدًا وَفِي رِوَايَةٍ لَا تَرَيَانِ النَّارَ (عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) وَهِيَ مَرْتَبَةُ الْمُجَاهِدِينَ مَعَ النَّفْسِ التَّائِبِينَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ سَوَاءٌ كَانَ عَالِمًا أَوْ غَيْرَ عَالِمٍ (وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ) وَفِي رِوَايَةٍ تَكْلَأُ (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وَهِيَ مَرْتَبَةُ الْمُجَاهِدِينَ فِي الْعِبَادَةِ وَهِيَ شَامِلَةٌ لِأَنْ تَكُونَ فِي الْحَجِّ أَوْ طلب العلم أو الجهاد أو العبادة وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْحَارِسُ لِلْمُجَاهِدَيْنِ لِحِفْظِهِمْ عَنِ الْكُفَّارِ"[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): "لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ"[3].

قال القاري[4]: وقوله: "حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ", "هَذَا مِنْ بَابِ التَّعْلِيقِ بِالْمُحَالِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ** ﴾[5].

وفي هذا بيان لعظم ثواب الخشية من الله (Y), وأن منزلة هؤلاء من أعظم المنازل؛ إذا لا يوصف بها إلا المؤمنون الطائعون المتقون الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (τ)، عَنِ النَّبِيِّ (ρ) قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"[6].

قال النووي (~): "فيه فضيلة البكاء من خشية الله تعالى, وفضل طاعة السر لكمال الإخلاص فيها"[7].

---

(1) أخرجه الترمذي في جامعه, كِتَاب فَضَائِلِ الْجِهَادِ، بَاب ما جاء في فَضْلِ الْحَرَسِ في سَبِيلِ اللَّهِ,175/4 (1639), وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(2) تحفة الأحوزي 221/5.

(3) أخرجه الترمذي في جامعه, كِتَاب الزُّهْدِ, بَاب ما جاء في فَضْلِ الْبُكَاءِ من خَشْيَةِ اللَّهِ, 555/4 (2311)، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. والحاكم في المستدرك بنحوه, كتاب التوبة والإنابة،288/4 (7667), وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(4) مرقاة المفاتيح 358/7.

(5) سورة الأعراف من الآية (40).

(6) أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب الْجَمَاعَةِ وَالْإِمَامَةِ، بَاب من جَلَسَ في الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضْلِ الْمَسَاجِدِ, 234/1 (629), ومسلم في صحيحه, كِتَاب الزَّكَاةِ، بَاب فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ،715/2 (1031).

(7) شرح النووي 123/7.

وعن حذيفة (τ) قال: سمعت رسول الله (ρ) يقول: "إنَّ رَجُلاً حَضَرَهُ المَوْتُ، فَلَمَّا يَئِسَ مِنَ الحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي، وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي، فَامْتَحَشْتُ[1]، فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا[2] فَاذْرُوهُ[3] فِي اليَمِّ. فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ فَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ مِنْ خَشْيَتِكَ. فَغَفَرَ اللهُ لَهُ"[4].

قال العيني (~): قلت: إن كَانَ هَذَا الرجل مُؤمنا فلِمَ شَك فِي قدرَة الله تَعَالَى؟ وَإِن لم يكن، فَكيف غفر لَهُ؟ قلت: كَانَ مُؤمنا بِدَلِيل الخشية، وَمعنى: قدر، مخففاً ومشدداً: حكم وَقضى، أَو ضيق. وَقَالَ النَّوَوِيّ: قيل: أَيْضا: إِنَّه على ظَاهره، وَلَكِن قَالَه غير ضَابِط لنَفسِهِ وقاصد لمعناه، بل قَالَه فِي حَالَة غلب عَلَيْهِ فِيهَا الدهش وَالْخَوْف بِحَيْثُ ذهب تدبره فِيمَا يَقُوله، فَصَارَ كالغافل وَالنَّاسِي لَا يُؤَاخذ عَلَيْهِمَا، أَو أَنه كَانَ فِي زمَان يَنْفَعهُ مُجَرّد التَّوْحِيد، أَو كَانَ فِي شرعهم جَوَاز الْعَفو عَن الْكَافِر. وَقَالَ الْخطابِيّ: فَإِن قلت: كَيفَ يغْفر لَهُ وَهُوَ مُنكر للقدرة على الْإِحْيَاء؟ قلت: لَيْسَ بمنكر، إِنَّمَا هُوَ رجل جَاهِل ظن أَنه إِذا صنع بِهِ هَذَا الصَّنِيع ترك فَلم ينشر وَلم يعذب، وَحَيْثُ قَالَ: من خشيتك، علم أَنه رجل مُؤمن فعل مَا فعل من خشيَة الله، ولجهله حسب أَن هَذِه الْحِيلَة تنجيه[5].

مما سبق يتضح لنا قيمة الخشية من الله (Y) وعظم الثواب الذي أعده الله (Y) لمن يخشاه من عباده, حيث إن الخشية سبب لدخول العبد الجنة, والأمن من العذاب, فالمؤمن الحق دائم الخوف والخشية والمراقبة, فلا يستصغر ذنبا, ولا يستعظم عملا؛ لأن الخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علمٍ مما يخشى منه, ولذلك خص العلماء بها في قوله ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[6], وقال (ρ): "إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ"[7]. فالخشية قرينة العلم, وهي أخص من الخوف, فالخوف لعامة المؤمنين, وأما الخشية فللعلماء العارفين, وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية.

---

(1) فامتحشت: امتحش احترق و محشته النار و امتحشته أحرقته. لسان العرب مادة (محش) 344/6. وينظر معجم مقاييس اللغة 299/5.

(2) (راحا): شديد الريح.لسان العرب مادة (روح) 455/2.

(3) (فَاذْرُوهُ): من ذروت الشيء طيرته وأذهبته. مختار الصحاح مادة (ذرا) 93/1.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْأَنْبِيَاءِ، بَاب مَا ذُكِرَ عن بَنِي إِسْرَائِيلَ,1272/3, (3266).

(5) ينظر: عمدة القاري 62/16 بتصرف يسير.

(6) سورة فاطر من الآية (28).

(7) سبق تخرجه في بيان منزلة الخشية.

الحياء قيمته ومنزلته

معنى الحياء:

الحياء التوبة والحشمة, والحياء بمعنى الاستحياء, تقول: رجل حَيِيٌّ ذو حَياءٍ بوزن فَعِيلٍ، والأُنثى بالهاء, وامرأَة حَيِيَّة, واسْتَحْيا الرجل واسْتَحْيَت المرأَة، وللعرب في هذا الحرف لغتان يقال اسْتَحَى الرجل يَسْتَحي بياء واحدة، واسْتَحْيا فلان يَسْتَحْيِي بياءَين، والقرآن نزل بهذه اللغة الثانية كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا**﴾[1][2].

والحياء والاستحياء من حيى, والحاء والياء والحرف المعتل أصلان, أحدهما: خلاف الموت, والآخر: الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة[3].

وقال الجُرجاني: "الحياء انقباض النفس من شيء وتركه حذرا عن اللوم فيه"[4].

وقال الحافظ ابن حجر: "والحياء هو بالمد وهو في اللغة تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به, وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب, والترك إنما هو من لوازمه, وفي الشرع: خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق"[5].

وقال الزَّرقَانيّ: قالَ الرّاغِب[6]: الحَياء انقِباض النَّفس عَن القَبِيح، وهُو مِن خَصائِص الإِنسان لِيَرتَدِع عَن ارتِكاب كُلّ ما يَشتَهِي فَلا يَكُون كالبَهِيمَةِ.

وقالَ غَيره: هُو انقِباض النَّفس خَشيَة ارتِكاب ما يُكرَه، أَعَمّ مِن أَن يَكُون شَرعِيًّا أَو عَقلِيًّا أَو عُرفِيًّا، ومُقابِل الأَوَّل فاسِق والثّانِي مَجنُون والثّالِث أَبلَه[7].

أنواع الحياء

والحياء إما فطري طبيعي, وإما مكتسب بالإيمان والطاعة, **قال الجُرجَانيّ**: والحياء نوعان: نفساني: وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلها, كالحياء من

---

(1) سورة البقرة من الآية (26).

(2) ينظر: لسان العرب مادة (حيا) 217/14, 218، تاج العروس مادة (حيي) 511/37 بتصرف.

(3) ينظر: معجم مقاييس اللغة مادة (حيى) 122/2.

(4) التعريفات ص126.

(5) فتح الباري 52/1.

(6) المفردات في غريب القرآن صـ270.

(7) ينظر: شرح الزرقاني 322/4.

كشف العورة والجماع بين الناس, وإيماني: وهو أن يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفا من الله تعالى(1).

منزلة الحياء وفضله

والحياء من أعظم الأخلاق الفاضلة, وهو رأس مكارم الأخلاق, وثمرة من ثمار الإيمان وكماله, كما في الحديث الذي رواه الشيخان, عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ρ) مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): " دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ "(2).

فقوله (ρ) "دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ" أي أثر من آثاره, وعلامة من علاماته وكماله.

قال ابن حجر: وقَد يَتَولَّد الحَياء مِنَ الله تَعالَى مِنَ التَّقَلُّب فِي نِعَمِهِ فَيَستَحِي العاقِل أَن يَستَعِينَ بِها عَلَى مَعصِيَته، وقَد قالَ بَعض السَّلَف: خَفِ الله عَلَى قَدر قُدرَته عَلَيك. واستَحيِ مِنهُ عَلَى قَدر قُربه مِنك(3).

وقَالَ (ρ) في الحديث الذي رواه ابن ماجة في سننه عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): "إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ"(4).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ρ): " الْحَيَاءُ وَالإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ"(5).

---

(1) ينظر: التعريفات ص126.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الإِيمَانِ، بَاب الْحَيَاءُ من الْإِيمَانِ,17/1 (24). ومسلم في صحيحه, كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب بَيَانِ عَدَدِ شُعَبِ الْإِيمَانِ وَأَفْضَلِهَا وَأَدْنَاهَا وَفَضِيلَةِ الْحَيَاءِ وَكَوْنِهِ من الْإِيمَانِ,63/1 (36).

(3) فتح الباري 75/1.

(4) أخرجه ابن ماجة في سننه, كِتَاب الزُّهْدِ، بَاب الْحَيَاءِ,1399/2(4181), والطبراني في الصغير,31/1 (13)، وقال: لَمْ يَرْوِهِ عَنْ مَالِكٍ، إلا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ سَهْلٍ, قلت: إسناد ابن ماجة حسن لغيره, فيه معاوية بن يحيى الصدفي ضعيف الحديث, وتابعه مالك ابن أنس كما عند الطبراني, وبقية رجاله ثقات, أما إسناد الطبراني ففيه: أحمد بن محمد الكندي, وهو مجهول.

(5) أخرجه الحاكم في المستدرك, كتاب الإيمان, 73/1 (58), وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا، فَقَدِ احْتَجَّا بِرُوَاتِهِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ. قلت: ووافقه الذهبي.

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ (ρ) قَالَ: الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ"[1].

قال المُناوي: (الحياء والعي) أي سكون اللسان تحرزا عن الوقوع في البهتان, لا عي القلب ولا عي العمل ولا عي اللسان لخلل, (شعبتان من) شعب (الإيمان): أي أثران من آثاره, بمعنى أن المؤمن يحمله الإيمان على الحياء فيترك القبائح حياء من الله, ويمنعه من الاجتراء على الكلام شفقا من عثر اللسان والوقيعة في البهتان, (والبذاء) هو ضد الحياء وقيل فحش الكلام, (والبيان) أي فصاحة اللسان, والمراد به هنا ما يكون فيه إثم من الفصاحة كهجو أو مدح بغير حق, (شعبتان من النفاق) بمعنى أنهما خصلتان منشأهما النفاق [2].

ومن فضائله أنه مفتاح كل خير, إذ إنه يحمل على البر ومكارم الأخلاق, ويمنع من الفحش, كما أخبر النبي(ρ) بذلك, فيما رواه البخاري ومسلم, عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): "الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ " وفي رواية عند مسلم بلفظ " الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ "، قَالَ: أَوَ قَالَ: "الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ"[3].

قال ابن بطال: معناه أن من استحيا من الناس أن يروه يأتى الفجور ويرتكب المحارم، فذلك داعية له إلى أن يكون أشد حياء من ربه وخالقه، ومن استحيا من ربه فإن حياءه زاجر له عن تضييع فرائضه وركوب معاصيه؛ لأن كل ذي فطرة صحيحة يعلم أن الله تعالى النافع له والضار والرزَّاق والمحي والمميت، فإذا علم ذلك فينبغي له أن يستحى منه (Y)، وهو قوله (υ): (دعه فإن الحياء من الإيمان) معناه أن الحياء من أسباب الإيمان وأخلاق أهله. وذلك أنه لما كان الحياء يمنع من الفواحش، ويحمل على الصبر والخير كما يمنع الإيمان صاحبه من الفجور، ويقيده عن المعاصى ويحمله على الطاعة صار كالإيمان لمساواته له فى ذلك[4].

ومن فضائله أيضا أنه من سنن الأنبياء والمرسلين

---

(1) أخرجه الترمذي في جامعه, كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ، بَاب ما جاء في الْعِيِّ, 375/4 (2027), وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي غَسَّانَ مُحَمَّدِ بْنِ مُطَرِّفٍ، قَالَ: وَالْعِيُّ: قِلَّةُ الْكَلَامِ، وَالْبَذَاءُ: هُوَ الْفُحْشُ فِي الْكَلَامِ، وَالْبَيَانُ: هُوَ كَثْرَةُ الْكَلَامِ مِثْلُ هَؤُلَاءِ الْخُطَبَاءِ الَّذِينَ يَخْطُبُونَ فَيُوَسِّعُونَ فِي الْكَلَامِ وَيَتَفَصَّحُونَ فِيهِ مِنْ مَدْحِ النَّاسِ فِيمَا لَا يُرْضِي اللَّهَ. والحاكم في المستدرك, كتاب الإيمان,51/1 (17), وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد احتجا برواته عن آخرهم. قلت: ووافقه الذهبي.

(2) فيض القدير 428/3.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب الْحَيَاءِ, 2267/5 (5766). ومسلم في صحيحه, كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب بَيَانِ عَدَدِ شُعَبِ الْإِيمَانِ وَأَفْضَلِهَا وَأَدْنَاهَا وَفَضِيلَةِ الْحَيَاءِ وَكَوْنِهِ من الْإِيمَانِ، 64/1 (37).

(4) شرح صحيح البخاري لابن بطال 298/9.

والحياء من الأخلاق الفاضلة التي نادت بها الرسالات السماوية كلها، وجاء الإسلام فأكَّد عليها, بل إن الحياء من أبرز الأخلاق التي تخلَّق بها الرسل جميعًا، لا سيما سيِّد الخلق وأشرف الرسل، سيدنا محمد (ρ) فقد كان الحياء من شمائله, والذي عُرف عنه بأنه كان أشدَّ حياء من العذراء في خدرها، كما في الحديث المتفق عليه من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (τ)، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ (ρ): "أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ"[1].

قال النَوَوِيّ: الْعَذْرَاء الْبِكْر، لِأَنَّ عُذْرَتَهَا بَاقِيَة، وَهِيَ جِلْدَة الْبَكَارَة. وَالْخِدْر سِتْر يُجْعَل لِلْبِكْرِ جَنْب الْبَيْت.وَمَعْنَى (عَرَفْنَا الْكَرَاهَة فِي وَجْهه) أَيْ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِ لِحَيَائِهِ، بَلْ يَتَغَيَّرُ وَجْهه، فَنَفْهَم نَحْنُ كَرَاهَته. وَفِيهِ فَضِيلَة الْحَيَاء، وَهُوَ مِنْ شُعَب الْإِيمَان، وَهُوَ خَيْر كُلّه، وَلَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ[2].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): "خَمْسٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ: الْحَيَاءُ وَالْحِلْمُ، وَالْحِجَامَةُ، وَالتَّعَطُّرُ، وَالنِّكَاحُ"[3].

الحياء من الله (Y)

ولما كان للحياء هذا الفضل وتلك المنزلة كان حقا على المسلمين أن يستحيوا, وكان على رأس هذا الحياء, الحياء من الله (Y) كما بين النبي (ρ) ذلك فيما رواه الترمذي في جامعه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): "اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ" قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: " لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ"[4].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْمَنَاقِبِ، بَاب صِفَةِ النبي (ρ),1306/3 (3369).ومسلم في صحيحه, كِتَاب الْفَضَائِلِ، بَاب كَثْرَةِ حَيَائِهِ (ρ), 1809/4 (2320).

(2) شرح النووي 78/15.

(3) أخرجه الطبراني في الكبير 186/11 (11445). قلت: إسناده ضعيف جدا,فيه: إِسْمَاعِيلُ بْنُ شَيْبَةَ, منكر الحديث, وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن شيبة قال الذهبي: واه. مجمع الزوائد 253/4.

(4) أخرجه الترمذي في جامعه, كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ 637/4. وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبَانَ بْنِ إِسْحَاق، عَنِ الصَّبَّاحِ بْنِ مُحَمَّدٍ. قلت: إسناده ضعيف؛فيه: صباح بن محمد بن أبي حازم البجلي, ضعيف الحديث.

قال المُناوي: استحيوا من الله تعالى حق الحياء بترك الشهوات والنهمات وتحمل المكاره على النفس حتى تصير مدبوغة فعندها تطهر الأخلاق وتشرق أنوار الأسماء في صدر العبد ويقرر علمه بالله فيعيش غنيا بالله ما عاش.

وقوله: فليحفظ الرأس وما وعى، أي ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة حتى لا يستعملها إلا فيما يحل, وليحفظ البطن وما حوى أي وما جمعه الجوف باتصاله به من القلب والفرج واليدين والرجلين فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف فلا يستعمل منها شيئا في معصية الله فإن الله ناظر في الأحوال كلها إلى العبد لا يواريه شيء, وعبر في الأول بوعى وفي الثاني بحوى للتفنن(1).

قال الطِّيبيُّ: جعل الرأس وعاء وظرفا لكل ما لا ينبغي من رذائل الأخلاق كالفم والعين والأذن وما يتصل بها, وأمر أن يصونها كأنه قيل كف عنك لسانك فلا تنطق به إلا خيرا، ولم يصرح بذكر اللسان ليشمل ما يتعلق بالفم من أكل الحرام والشبهات وكأنه قيل وسد سمعك أيضا عن الإصغاء إلى ما لا يعنيك من الأباطيل والشواغل, واغضض عينك عن المحرمات والشبهات ولا تمدن عينيك إلى ما تمتع به الكفار من زهرة الدنيا. وقوله: وليذكر الموت والبلى لأن من ذكر أن عظامه تصير بالية وأعضاءه متمزقة هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة وأهمه ما يلزمه من طلب الآجلة وعمل على إجلال الله وتعظيمه(2).

ولما كان الحياء من كمال الإيمان, ومن شمائل العدنان, كان فيه الخير والكمال, وفي تركه النقصان والخذلان.

فعن أبي مَسْعُودٍ قال: قال النبي (ρ) "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ الناس من كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إذا لم تستح فَاصْنَعْ ما شِئْتَ"(3).

قال ابن حجر: هُو أَمر بِمَعنَى الخَبَر، أَو هُو لِلتَّهدِيدِ أَي اصنَع ما شِئت فَإِنَّ الله يَجزِيك، أَو مَعناهُ اُنظُر إِلَى ما تُرِيد أَن تَفعَلهُ فَإِن كانَ مِمّا لا يُستَحَيا مِنهُ فافعَلهُ وإِن كانَ مِمّا يُستَحَيا مِنهُ فَدَعهُ، أَو المَعنَى أَنَّك إِذا لَم تَستَحِ مِنَ الله مِن شَيء يَجِب أَن لا تَستَحِيَ مِنهُ مِن أَمر الدِّين فافعَلهُ ولا تُبالِ بِالخَلقِ، أَو المُراد الحَثّ عَلَى الحَياء والتَّنوِيه بِفَضلِهِ، أَي لَمّا لَم يَجُز صُنع جَمِيع ما شِئت لَم يَجُز تَرك الاستِحياء(4).

ومعنى قوله من كلام النبوة الأولى, أي مما اتفق عليه الأنبياء؛ لأنه جاء في زمن النبوة الأولى وهي عهد آدم واستمر إلى شرعنا إلى آخر ما وجدوا مأمورا به

(1) ينظر: فيض القدير 487/1, 488.
(2) ينظر: شرح المشكاة للطيبي 1367/4.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه, كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب إذا لم تستح فَاصْنَعْ ما شِئْتَ, 2268/5 (5769).
(4) فتح الباري: 523/6.

في زمن النبوة الأولى إلى أن أدركناه في شرعنا ولم ينسخ في ملة من الملل بل ما من نبي إلا وقد ندب إليه وحث عليه ولم يبدل فيما بدل من شرائعهم, ففائدة إضافة الكلام إلى النبوة الأولى الإشعار بأن ذلك من نتائج الوحي, ثم تطابقت عليه العقول وتلقته جميع الأمم بالقبول(1).

وكان الصحابة من أكثر الناس إقتداء برسول الله (ρ), ومن أحسن الناس إتباعا لسنته وهديه ومكارم أخلاقه, ومن صور الحياء عند الصحابة:

ما روي عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، قَالَتْ: " كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ (ρ) وَأَبِي، فَأَضَعُ ثَوْبِي، فَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ، فَوَاللَّهِ مَا دَخَلْتُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي حَيَاءً مِنْ عُمَرَ "(2).

فهذا حياء أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، حيث كانت تستحيي من الأموات, فما بال بعض النساء في أيامنا يخرجن عرايا أو شبه عرايا ولا يستحيين من الله ولا من الأحياء.

وعن عَائِشَةَ قالت كان رسول اللَّهِ (ρ) مُضْطَجِعًا في بَيْتِي كَاشِفًا عن فَخِذَيْهِ أو سَاقَيْهِ فَاسْتَأْذَنَ أبو بَكْرٍ فَأَذِنَ له وهو على تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ له وهو كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رسول اللَّهِ (ρ) وَسَوَّى ثِيَابَهُ قال مُحَمَّدٌ ولا أَقُولُ ذلك في يَوْمٍ وَاحِدٍ فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ فلما خَرَجَ قالت عَائِشَةُ دخل أبو بَكْرٍ فلم تَهْتَشَّ له ولم تُبَالِهِ ثُمَّ دخل عُمَرُ فلم تَهْتَشَّ له ولم تُبَالِهِ ثُمَّ دخل عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فقال ألا أَسْتَحِي من رَجُلٍ تَسْتَحِي منه الْمَلَائِكَةُ.

وعن عائشة وعثمان (رضي الله عنهما).... بنحوه, وقال فيه: إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ، وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ"(3).

قال النووي (~): "وفيه فضيلة ظاهرة لعثمان وجلالته عند الملائكة وان الحياء صفة جميلة من صفات الملائكة"(4).

وقال الطِّيبيُّ: "وفيه دليل على توقير عثمان (τ) عند رسول الله (ρ) ولكن لا يدخل على حظ منصب أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) منه (ρ) وقلة الالتفات إليهما؛ لأن

---

(1) ينظر: فيض القدير 43/1.

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده, 202/6 (25701). قلت: إسناده صحيح, وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد 26/8.

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه, كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (ψ)، بَاب من فَضَائِلِ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ (τ)، 1866/4 (2401, 2402).

(4) شرح النووي 169/15.

قاعدة المحبة إذا كملت واشتدت ارتفع التكلف، كما قيل: إذا حصلت الألفة بطلت الكلفة"[(1)].

مما سبق يتضح لنا القيمة الخُلُقية للحياء, فالْحَيَاءُ مِنَ الْحَيَاةِ، وَعَلَى حَسَبِ حَيَاةِ الْقَلْبِ يَكُونُ فِيهِ قُوَّةُ خُلُقِ الْحَيَاءِ. وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ مِنْ مَوْتِ الْقَلْبِ, فَكُلَّمَا كَانَ الْقَلْبُ حيى كَانَ الْحَيَاءُ فيه أَتَمَّ, وهو مفتاح كل خير, ورأس مكارم الأخلاق, وثمرة من ثمار الإيمان, فلا يكمل الإيمان إلا به، لذا فهو خلق الأنبياء والمرسلين, ومن اقتدى بهم منذ بدء الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(1) شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) 3873/12.

الخاتمة

الحمد لله وحده, والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد أن جُلت - بعون الله وتوفيقه – في رحاب القيم الأخلاقية خصائصها ومميزاتها من خلال السنة النبوية دراسة نظرية تطبيقية, أود هنا أن أستخلص أبرز نتائج البحث من خلال النقاط الآتية:-

1- اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالأخلاق اهتماما بالغًا.
2- إن من أعظم الغايات التي بعث بها النبي (ρ) إتمام مكارم الأخلاق.
3- سمو ورفعة منزلة النبي (ρ) فكان أحسن الناس خَلقا وخُلقا.
4- عظم الأثر الذي تركته عظمة أخلاق النبي (ρ) في نفوس الناس, من آمن به ومن لم يؤمن, من رآه ومن سمع عنه, في حياته وبعد مماته.
5- أن كمال الإيمان بكمال الأخلاق.
6- وجوب التحلي بالأخلاق الحسنة, والاقتداء بالرسول الكريم (ρ) في ذلك للفوز بسعادة الدارين.
7- الأخلاق منها ما هو فطري, يهبه الله لمن يشاء من عباده، ومنها ما هو مكتسب, يكتسبه الإنسان من خلال المجاهدة ومن خلال البيئة التي يعيش فيها.
8- إمكانية تغيير الأخلاق, وأن تزكية النفوس والأخلاق أمر ممكن وضروري لسمو الأخلاق ورفعة الشأن.
9- القيم الأخلاقية في الإسلام ثابتة لا تتغير, صالحة لكل زمان ومكان؛ لأنها ليست من صنع الإنسان ولذلك فهي قائمة على الزمان ما بقي الزمان على اختلاف البيئات والعصور.
10- الالتزام بالقيم الأخلاقية وسيلةً من وسائل نهوض المجتمع.

وأخيرا:

فإني أسأل الله أن يجعل عملي خالصا لوجهه, وأن يجعله في ميزان حسناتي, وأن يتجاوز بهذا العمل المتواضع عن زلاتي, إنه سميع قريب مجيب.

وصلِّ اللَّهمَ وباركْ على سيِّدِنَا ونبيِّنَا مُحَمَّدٍ (ρ)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

دكتور
علاء عبد العزيز متولي
عيسى
مدرس الحديث وعلومه
بجامعة الأزهر

المصادر والمراجع

- **إحياء علوم الدين**: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ط: دار االمعرفة – بيروت.
- **أساس البلاغة:** لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ط: دار الفكر - 1399هـ - 1979م.
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ط: دار الجيل - بيروت – 1412هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.
- **البحر الزخار**: لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، ط: مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم - بيروت، المدينة – 1409هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله.
- **بدائع السلك في طبائع الملك**: لإبن الأزرق, ط: وزارة الإعلام - العراق، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.علي سامي النشار.
- **تاج العروس من جواهر القاموس:** لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ط: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.
- **تاريخ مدينة دمشق:** لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي. ت (571هـ)، ط/ دار الفكر – بيروت، 1995م، تحقيق/ محب الدين عمر أبي سعيد بن غرامة.
- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي:** لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبي العلا، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.
- **التسهيل لعلوم التنزيل:** لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، ط: دار الكتاب العربي - لبنان - 1403هـ- 1983م، الطبعة: الرابعة.
- **التعريفات**: لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، ط: دار الكتاب العربي - بيروت – 1405هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري.
- **تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم**: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، ط: دار الفكر - بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي.
- **تفسير القرآن العظيم**: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ط: دار الفكر - بيروت – 1401هـ.
- **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**: لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - 1421هـ - 2000م، الطبعة: الأولى.

- **تقريب التهذيب**: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، ط: دار الرشيد - سوريا – 1406هـ - 1986م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة.
- **تهذيب التهذيب**: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، ط: دار الفكر - بيروت – 1404هـ - 1984م، الطبعة: الأولى.
- **تهذيب اللغة:** لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت - 2001م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن:** لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، ط: دار الفكر - بيروت – 1405هـ.
- **الجامع لأحكام القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط: دار الشعب – القاهرة.
- **الجامع لأحكام القرآن**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط: دار الشعب – القاهرة.
- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء:** لأبي بكر محمد بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ), ط: دار المعرفة – المغرب, الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م.
- **حلية الأولياء:** لأبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. ت(430هـ)، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت، الرابعة 1405هـ.
- **سنن ابن ماجه:** لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني. ت (275هـ)، ط/ دار الفكر – بيروت، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي.
- **سنن أبي داود:** لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. ت(275هـ)، ط/دار الفكر، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد.
- **سنن الترمذي:** لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي. ت(279هـ)، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق/ أحمد محمد شاكر وآخرين.
- **السنن الكبرى للبيهقي:** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي. ت (458هـ)، ط/ مكتبة دار الباز، مكة المكرمة 1414هـ - 1994م، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا.
- **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**: لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، ط: دار الكتب العلمية - بيروت – 1411هـ، الطبعة: الأولى.
- **شرح الطِّيبيُّ على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن):** لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطِّيبيُّ (743هـ), تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي, ط: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض).

- **شرح النووي على صحيح مسلم:** للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي. ت (676هـ)، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثانية 1392هـ.
- **شرح صحيح البخارى لابن بطال:** لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (المتوفى: 449هـ), تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم, ط: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض
- **صحيح ابن حِبّان:** لأبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي ت (354هـ)، ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت الثانية: 1414هـ، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط.
- **صحيح البخاري:** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت (256هـ). ط/ دار ابن كثير – اليمامة – بيروت 1407هـ - 1987م، تحقيق د/ مصطفى ديب البغا.
- **صحيح مسلم:** لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- **الطب النبوي**: لمحمد بن أبي بن أيوب الدمشقي، ط: دار الفكر - بيروت، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق. الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م.
- **طرح التثريب في شرح التقريب:** لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - 2000م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد القادر محمد علي.
- **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين:** لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: زكريا علي يوسف.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري:** لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**: لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - 1995م، الطبعة: الثانية.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط:دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:** لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط: دار الفكر – بيروت.
- **الفوائد**: لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت – 1393هـ - 1973م، الطبعة: الثانية.
- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**: لعبد الرؤوف المناوي، ط: المكتبة التجارية الكبرى - مصر - 1356هـ، الطبعة: الأولى.

- **قاعدة في المحبة**: لأبي العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، ط: مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
- **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**: لأبي عبد الله حمد بن أحمد الذهبي الدمشقي، ط: دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو - جدة – 1413هـ - 1992م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة.
- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: لمصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت – 1413هـ – 1992م.
- **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**: لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: 786هـ), ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان طبعة أولى: 1356هـ - 1937م.
- **اللباب في تهذيب الأنساب**: لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، ط: دار صادر - بيروت - 1400هـ - 1980م.
- **لسان العرب:** لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ت(711هـ)، ط/ دار صادر، بيروت، الأولى.
- **المجتبى من السنن:** لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب – 1406هـ - 1986م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: لأبي بكر علي بن الهيثمي، ط: دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي - القاهرة، بيروت – 1407هـ.
- **مختار الصحاح**: لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ط: مكتبة لبنان - بيروت – 1415هـ - 1995م، تحقيق: محمود خاطر.
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ط: دار الكتاب العربي - بيروت – 1393هـ - 1973م، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**: لعلي بن سلطان محمد القاري، ط: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - 1422هـ - 2001م، الطبعة: الأولى، تحقيق: جمال عيتاني.

- **المستدرك على الصحيحين:** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ت (405هـ)، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى 1411هـ - 1990م، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا.
- **مسند أحمد:** لأبي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني ت (241هـ)، ط/مؤسسة قرطبة – مصر.
- **مصنف ابن أبي شيبة:** لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، ط: مكتبة الرشد - الرياض – 1409هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- **مصنف عبد الرزَّاق:** لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت211هـ) ط: المكتب الإسلامي- بيروت/الطبعة الثانية، سنة1403هـ /تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- **المعجم الأوسط:** لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ط: دار الحرمين - القاهرة – 1415هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.
- **معجم البلدان:** لياقوت بن عبد الله الحموي أبي عبد الله، ط: دار الفكر – بيروت.
- **المعجم الوسيط:** لإبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/حامد عبد القادر/ محمد النجار، ط: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
- **معجم مقاييس اللغة:** لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ط: دار الجيل - بيروت - لبنان - 1420هـ - 1999م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
- **المفردات في غريب القرآن:** لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ط: دار المعرفة - لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.
- **مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها:** لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: 327هـ), تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري, ط: دار الآفاق العربية، القاهرة الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م.
- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ط: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت – 1415هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: صفوان عدنان داوودي.

فهرس الموضوعات